"والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام والحبّ ذو العصف والريحان فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان"[1].

وقال أيضاً:

"وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى والمؤتفكة أهوى فغشّاها ما غشّى فبأيّ آلاء ربّك تتمارى"[2].

فثبت من هذه المواقع أن كلمة "الآلاء" لا تعني إلا الفعال العجيبة من الخلق والنعمة والعذاب ولمزيد البيان نتتبع استعمالها في كلام العرب القح فقال طرفة:

كامل يحمـــل آلاء الفتى نبهٍ سيِّد ســادات خضم[3]

وقالت مية بنت ضرار ترثي أخاها:

كريم ثنـــــــــاه وآلاؤه وكافي العشـيرة ما غالها[4]

وقال المهلهل في رثاء أخيه كليب:

الحزم والعزم كانا من طبائعه ما كل آلائه يا قوم أحصيها[5]

وقال الأجدع الهمداني:

ورضيت آلاء الكميت فمن يبع فرساً فليس جوادنا بمبـــاع[6]

وقال فضالة بن زيد العدواني:

وفي الفقر ذل للرقــاب وقلما رأيت فقيراً غير نكس مذمم

يلام وإن كـان الصواب بكفه ويحمد آلاء البخيل المـدرهم[7]

2. **الآية:** نرى في القرآن أنّ الله تعالى كثيراً ما يستخدم كلمة "الآية" للدلالة على توحيده وقدرته على شيئ فيقول مثلاً في موضع منه:

---

[1] السورة نفسها: 15-16
[2] سورة النجم: 50
[3] ديوان طرفة بن العبد، ص 110
[4] لسان العرب، مادة: ع ش ر
[5] العقد الفريد، 217/5
[6] الأصمعيات، ص 69
[7] الحماسة البصرية، 82/2

"بل هو آيات مبيّنات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون"[1].

نجد لشرحها أمثلة عديدة في كلام العرب فقال حارث بن حلزة اليشكري:

من لنا عنده من الخير آيا ت ثلاث في كلهنّ القضاء[2]

وقال زهير بن أبي سلمى:

أراني إذاما شئت لاقيت آية تذكر في بعض الذي كنت ناسيا[3]

وقال النمر بن تولب العكلي:

وأقصر عنها وآياتها يذكرنه دائه الأقدما[4]

وقال جندب وهو يرثي أخاه:

وقالوا قتلناه في غارة بآية أنْ قد ورثنا النبالا[5]

وقال عبيد بن الأبرص:

تريني آية الإعراض عنها وفظّت في المقالة بعد لين[6]

وقال امرؤ القيس الكندي:

لمن طلل داثر آيه تقادم في سالف الأحرس[7]

وقال بشر بن أبي حازم:

تغيّرت المنازل بالكثيب وعفّى آيها نسجُ الجنوب[8]

ففي كافة الأبيات المذكورة أعلاه ذكرت كلمة "الآية" للدلالة على العلامة والعلم.

3. **جيد:** استخدم القرآن كلمة "جيد"[1] لعنق زوجة أبي لهب والجيد كلمة تستخدم للعنق اللطيف الطويل الجميل ولا نجد هذا المعنى إلا بتتبع كلام العرب فقال امرؤ القيس الكندي:

---

[1] سورة العنكبوت: 49
[2] شرح ديوان الحماسة للتبريزي، 407/1
[3] ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 170
[4] شعر النمر بن تولب الكلبي، ص 170
[5] رياض الأدب، ص 82
[6] ديوان عبيد بن الأبرص، ص 133
[7] ديوان امرئ القيس، ص 339
[8] مختارات ابن الشجري، 21/2

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصّته ولا بمعــطّل[2]

وقال أيضاً:

ليالي ســـلمى إذا تريك منصـّباً وجيداً كجيد الرئم ليس بمعطال[3]

وقال عنترة بن شدّاد العبسي:

وكأنما التقت بجـيد جداية رشأ من الغزلان حرٍّ أرثم[4]

وقال الأعشى الكبير:

روّحته جيداء ذاهبة المر تع لا حبـة ولا مغـلاق[5]

وقال أيضاً:

وجـيد أدمــاء لم تذعـر فرائصها ترعى الأراك تعطي المرد والورثا[6]

وقال زهير بن أبي سلمى:

بجيـد مغــزلة أدمــاء خادلة من الظباء تراعي شادناً خرقا[7]

وقال النابغة الذبياني:

كأنّ الشذور والياقوت منها على جيـداء فاترة البغـــام[8]

فيبدو من دراسة هذه الأبيات أنّ "جيد" كلمة تستخدم للعنق الطويل الجميل اللطيف[9]، ونظراً لهذا المعنى قال الفزّي في نفسه:

ولا تثقـلا جيدي بمنة جاهـل أروح بها مثل الحمام المطوّقا[1]

---

[1] سورة المسد: 5

[2] ديوان امرئ القيس (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص 16

[3] المصدر نفسه، ص 28

[4] شرح المعلقات السبع، ص 211

[5] ديوان الأعشى الكبير، ص 248

[6] المصدر نفسه، ص 403

[7] ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 39

[8] النابغة الذبياني، ص 187

[9] والعرب كانوا يفضلون المرأة الجيداء كما قال جاهلي حينما سئل عن المرأة المفضلة لديه:

"الهركولة اللفاء الممكورة الجيداء التي يشفي السقيم كلامها ويبري الوصب إلمامها، التي إن أحسنت إليها شكرت وإن أسأت إليها صبرت وإن استعتبتها أعتبت، الفاترة الطرف الطفلة الكف العميمة الردف"، جمهرة خطب العرب، 21/1

4. **أحوى:** استخدم في سورة الأعلى كلمة ضمن نموّ نبات وهي "أحوى"[2]. ذكر معظم المفسّرين أنّ معناها "نبات جافّ" ولكننا نجد معنى لها مخالفاً عن الماضي حينما ندرس الشعر العربي الجاهلي فيقول امرؤ القيس الكندي:

وغيث من الوسميّ حوٍّ تلاعه تبطنته بشـــــيظم صلتان[3]

ويقول زهير بن أبي سلمى:

وغيث من الوسميّ حوٍّ تلاعه أجابت روابيه النجا وهواطله[4]

ويقول كذلك:

فقال شياه راتعات بقفـــــرة بمستأسد القريان حوٍّ مسايله[5]

ويقول تأبّط شرّاً:

مسبل في الحيّ أحوى رفلّ وإذا يغـزو فســمع أزلّ[6]

ويقول أسود بن يعفر:

ولقد غدوت لعازب متنــاذر أحوى المذانب مؤنق الروّاد[7]

ويقول جابر بن حريش:

ولقـد أرانا يا سـميّ بحـــــائل نرعى القرى فكامساً فالأصفرا
فالجزع بين ضباعة فرصـــــافة فعوارض حـوّ البسابس مقفـرا
لا أرض أكثر منك بيض نعــامة ومذانباً تندى وروضــاً أخضرا
ومغبّباً بحمى الصـــــوار كأنه متخـــــمّط قطـم إذاما بربرا
إذ لا تخاف حدوجــنا قذف النوى قبل الفســـــاد إقامة وتديّرا[8]

فكلمة "أحوى" في الأبيات المذكورة أعلاه تعني ما نقول ونرى.

---

[1] البلاغة الواضحة، ص 139
[2] سورة الأعلى: 5
[3] ديوان امرئ القيس، ص 87
[4] ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 103
[5] المصدر نفسه، ص 105
[6] شرح ديوان الحماسة للتبريزي، 161/2
[7] المفضّليات، ص 219
[8] شرح ديوان الحماسة للتبريزي، 74/2

5. **شوى:** قال الله تعالى في نار جهنّم: "نزّاعة للشوى"[1].
فنودّ أنْ نقول شيئاً عن تحقيق هذه الكلمة في ضوء كلام العرب الجاهلي. فقال ابن حزابة الحماسي:

ومشـمّر للمنـايا عن شـــواه إذا ما الوغد أسبل ثوبيه على القدم[2]

وقال امرؤ القيس الكندي:

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا له حجبات مشرفات على الفال[3]

وقال جرير:

ماذا ذكرت من الهذيل وقد شتا فينا الهذيل وفي شواه كبول[4]

وقال أفوه الأودي:

تظل غيارى عـند كل سـتيرة تقلّب جيداً واضحاً وشوى عبلا[5]

وقال الخرنق:

سـار به أجـــــود ذو ميعة عبلاً شواه غير كاب عشور[6]

وقال الأعشى:

مستقدم البركة عبل الشوى كفتٌ إذا عضّ بفأس اللجام[7]

وقال المثقب العبدي:

كأني وأقتادي على حمشة الشوى يجور صـراريّ بها وتقيمها[8]

وقال عنترة العبسي:

وحشيتي سرج على عبل الشوى نهـدٍ مراكله نبيل المخـزم[9]

فيبدو من هذه الاستخدامات أنّ كلمة "شوى" تعني لحم الساق.

---

[1] سورة المعارج: 16
[2] شرح ديوان الحماسة للتبريزي، 113/2
[3] ديوان امرئ القيس، ص 36
[4] ديوان جرير، 96/2
[5] الأغاني، 166/12
[6] ديوان خرنق، ص 35
[7] شعراء النصرانية، ص 391
[8] ديوان المثقب العبدي، ص 50
[9] شعراء النصرانية، ص 71

عبارات القرآن الخاصة: وبجانب المفردات التي استخدمها العرب في كلامهم ثم تناولها القرآن بشيء من التدرج هناك عبارات خاصة جاء ذكرها في كلام العرب واستخدمها القرآن كذلك. أعني بهذه العبارات "Idiom" و "Phrase" فالقرآن يكثر استعمالاتها لإبلاغ الرسالة عامة العرب الذين كانوا عارفين لها وناطقين بها. لا أريد أن استقصيها بل اختار منها ما لا يمل القارئ ولا تمتلئ بها المقالة.

1. **أجمعوا أمرهم:** هذه عبارة خاصة للغة العربية تعني عقد الإجماع على شيء. استخدمها القرآن كما يلي:

"واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إنْ كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكّلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة"[1].

واستخدمها الأدب العربي في نفس المعنى فيقول زهير بن أبي سلمى في النعمان:

فقال لهم خيـــراً وأثنى عليهم ووودعهم وداعَ أن لا تلاقيـــــا
وأجمع أمـراً كـان ما بعـده له وكان، إذاما اخلولج الأمر، ماضيا[2]

ويقول الحارث بن حلزة عن قبيلة عمرو بن كلثوم:

زعموا أن كل من ضرب العيـ ـر موالٍ لنـــــــا وأنّـا الـولاء
أجمعوا أمرهم بليـــــــل فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
من مناد ومن مجيب ومـن تصـ ـهال خيـل خلال ذاك رغـــــاء[3]

فإجماع الأمر إحكامه وإبرامه[4] وإليه الإشارة في قوله، تعالى، المذكور أعلاه:

2. **أحصن فرجه:** قال الله تعالى في مريم بنت عمران:

"والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين"[1]

---

[1] سورة يونس: 71، يقول ابن كثير في شرحها: "اجتمعوا" و"أفصلوا حالكم" تفسير القرآن العظيم 441/2

[2] ديوان زهير بن أبي سلمى، ص108 وقال كرم البستاني في شرح "أجمع أمراً": عزم على أمر" ديوانه ص108

[3] شرح القصائد العشر، ص297-299

[4] قال التبريزي في شرحه "أجمعوا أحكموا"، شرح القصائد العشر، ص298

يقول عن هذه العبارة المعلِّم عبد الحميد الفراهي في حواشيه على القرآن الكريم:

"أحصن فرجه: تحصن من السوء، كما يقال: سد الثلمة، ورتق الفتق، وجبر الكسر، وحمى البيضة. فما يراد منه حقيقة أفراد الألفاظ والفرج ههنا بعينه لا يدل إلى على مظنة السوء مثل الخلل وقد استعمل للرجال والنساء ولفرجة رجلي الفرس"[2]

ويقول لبيد بن أبي ربيعة العامري:

فغدت كلا الفرجين تحسب أنها مولى المخافة خلفها وأمامها[3]

ويقول زهير بن أبي سلمى:

وكل غريري كأن فروجـــــــه إذا رفّعت منه فروج حصان[4]

ويقول امرؤ القيس:

لها ذنب مثل ذيل العروس تســـدّ به فرجها من دبر[5]

ويقول عمرو بن قميئة:

ولم يحم فرج الحي إلا محافظ كريم المحيّا ماجد غير أحردا[6]

ويقول متمم بن نويرة:

أهـــوى ليحمي فرجها إذ أدبرت زجلاً كما يحمي النجيد المشرع[7]

3. **ضرب عنه الذكر صفحاً:** قال الله تعالى:

"حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين وكم أرسلنا من

---

[1] سورة الأنبياء: 91

[2] حواشي الإمام الفراهي على القرآن الكريم، حاشيته على سورتي الأنبياء والتحريم

[3] ديوان لبيد بن أبي ربيعة العامري، ص311

[4] ديوان زهير بين أبي سلمى، ص258

[5] ديوان امرئ القيس، ص64. يقول ابن قتيبة في "أدب الكاتب":
"لم يرد بالفرج هنا الرحم، وإنما أراد ما بين رجليها، تسده بذنبها" ص115

[6] ديوان عمرو بن قميئة، ص30

[7] المفضليات، ص50

نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا بِه يستهزؤون فأهلكنا أشد منهم بطشاً ومضى مثل الأولين"[1]

هذه عبارة خاصة يتم استخدامها للإعراض الكلي عن شيء، وهي تأتي هكذا أو بشيء من التغيير. فيقول الشنفري في قصيدته:

أديم مطال الجـــوع حتى أميته وأصرف عنه الذكر صفحا فأذهل

وأستف ترب الأرض كيلا يرى لـه علي من الطول امـــــرؤ متطول

وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكـن بأعجلهم، إذ أجشع القــوم أعجل[2]

ويقول الإمام مسلم:

"وقد تكلم بعض منتحلي الحديث من عصرنا في تصحيح الأسانيد وتسقيمها يقول لو ضربنا عن حكايته وذكره صفحاً لكان رأياً متيناً ومذهباً صحيحاً"[3]

ويقول الزمخشري في مقاماته:

"يرى به الغرض الراجع إلى الدين ضارباً صفحاً عمن يطلبه"[4]

ويقول ابن كثير:

"ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير هنا آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها"[5]

4. **كشف عن ساق:** جاء في القرآن الكريم:

"يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون"[6]

هذه العبارة تستخدم عندما يقع أمر عظيم يهرب فيه الرجال والنساء رافعين مآزرهم كاشفين عن أسواقهم فقال ذو الرمة:

قطـعت بنهاض إلى صعــدائه إذا شمرت عن ساق خمس ذلاذله[7]

---

[1] سورة الأحزاب: 1-8

[2] مختارات ابن الشجري، 18/1 ومختارات شعراء العرب، ص23

[3] صحيح مسلم، 22/1

[4] مقامات الزمخشري، ص13

[5] تفسير القرآن العظيم، 499/3

[6] سورة القلم: 42

[7] ديوان ذي الرمة، ص1250

وقال أبو جندب الهذلي:

وكنت إذا جارٌ دعـا لمضــوفة أشمر حتى ينصف الساقَ مئزري[1]

ويكثر استعمالها عند شدة الحروب فيقول حاتم الطائي:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها

وان شمرت عن ســـاقها الحرب شمرا [2]

وقال الحارث مفتخراً أمام كسرى:

"أيها الملك إن الفارس إذا حمل نفسه على الكتيبة مغرِّراً بنفسه على الموت، فهي منية استقبلها، وحياة استدبرها، والعرب تعلم أني أبعث الحرب قدماً، وأحبسها وهي تصرّف بها حتى إذا جاشت نارها وسعرت لظاها، وكشفت عن ساقها، جعلت مقادها رمحي، وبرقها سيفى، ورعدها زئيري، ولم أقصِّر عن خوض خضخاضها..."[3]

ويقول شاعر مشيراً إلى هذا الواقع:

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء[4]

وقال آخر:

كان منا المطاردون على الأخر ى إذا أبدت العذارى الخداما[5]

فثبت أن المراد منها شدة الأمر، ويؤيد باقي القرآن فجاء في سورة المعارج:

" يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إِلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون"[6]

وجاء في سورة يس:

---

[1] أشعار الهذليين، ص358
[2] ديوان حاتم الطائي، ص49
[3] جمهرة خطب العرب، 58/1
[4] لسان العرب، مادة: خ د م
[5] المصدر نفسه والمادة نفسها
[6] سورة المعارج: 43-44

"ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهِم ينسلون"[1]

5. **لسان صدق:** قال الله تعالى في عديد من مواضع القرآن فجاء في سورة يونس:

"أ كان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهِم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين"[2]

وجاء في نفس السورة:

"ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون"[3]

هذه عبارة خاصة لعربية الجاهليين وهي تعني ذكراً حسناً ثابتاً فاللسان تعبير عن الذكر، والصدق بهذا الأسلوب يعني الثبات.استعملت العرب هذه العبارة فقال عنترة بن معاوية بن شداد العبسي:

جاءت يداي لـه بعاجل طعنـــة بمثقف صدق الكعوب مقوَّم[4]

فصدق الكعوب أي ثابت الكعوب.

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

فتيان صدق كالليوث مســاعر من يلقهم يوم الهياج يعـود[5]

ونفس التعبير جاء عند مسكين الدارمي:

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم على سر بعض غير أني جماعها[6]

وقال الأنصاري أيضاً:

وندمان صدق تمطـر الخير كفه إذا راح فياض العشيات حضرما[7]

---

[1] سورة يونس: 49-51
[2] السورة نفسها: 2
[3] السورة نفسها: 93
[4] شرح القصائد العشر، ص238
[5] ديوان سيدنا حسان بن ثابت الأنصاري، ص37
[6] شرح ديوان الحماسة للتبريزي، 2/2
[7] ديوان سيدنا حسان بن ثابت الأنصاري، ص96

فالصدق هنا ليس بمعنى "صادقين" بل "ثابتين في الود".

وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

واستيقنوا منا بـوقع صـــــــادق هربوا وليس أوان ساعة مهرب[1]

وقال أيضاً:

لقونا فضمّوا جانبينا بصــادق من الطعن مثل النار في الحطب اليبس[2]

فلسان صدق يعني ذكراً حسناً ثابتاً ونفس المعنى اختاره ابن عباس في شرحه:

"قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني الثناء الحسن"[3]

ونفس الرأي أدلى به السدي[4] ومالك بن أنس.[5]

المشاكل النحوية: وكما يعين الأدب العربي الجاهلي في شرح معاني القرآن فذكلك يمدّ في حلّ عقد مشكلات القرآن النحوية ولإثبات هذه الدعوى نذكر فيما يلي أمثلة من مشكلات القرآن النحوية ونقوم بحلّها في ضوء الأدب العربي الجاهلي.

1. **حذف الماضي المركب بالمضارع:** في معظم الأحيان يحذف القرآن صيغة الماضي المركبة بالمضارع لأجل الإخبار بمواصلة ذلك الفعل فقال- مثلاً- تعالى في كتابه العزيز: "قد نرى تقلّب وجهك في السماء ---"[6].

وإذا كشفنا عن المحذوف وجدنا الفعل "قد كنّا نرى تقلّب وجهك ---" أي واصل النبي صلّى الله عليه وسلّم تقلّب وجهه في السماء دعاءً لتبديل القبلة وكان الله يرى هذا كله.

وعندما نتتبع كلام العرب الجاهلي نجد دلائل عديدة على ما أشرنا إليه فقال امرؤ القيس الكندي:

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجـرد قيــد الأوابد هيكل[1]

---

[1] شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ص50

[2] المصدر نفسه، ص114

[3] تفسير القرآن العظيم، 131/3

[4] المصدر نفسه والصفحة ذاتها

[5] المصدر نفسه والصفحة ذاتها

[6] سورة البقرة: 144

أي وقد كنت اغتدي.

وقال الحطيئة:

تركت الميــاه من تميــم بلاقعاً بما قد ترى منهم حلولاً كراكرا[2]

أي قد كنت ترى.

وقال حسان بن ثاب الأنصاري:

قــد أراني هنــاك حـقّ مكيـن عند ذي التاج مجلسي ومكاني[3]

أي قد كان أراني.

وقال أيضاً:

فقد يصادف باغي الخـير حاجته فيها ويأوي إليها الذكر والحسب[4]

أي فقد كان يصادف.

وقال أبو محجن الثقفي:

قـد يعـلم الناس أنا من سـراتهم إذا سما بصر الرعديدة الفرق[5]

أي قد كان يعلم.

2. **حذف الفعل بعد فعل مشابه:** وبما أنّ العرب كانوا أسرع الأمم إلى فهم الكلام الموجز فحذفوا جزءه المفهوم ومن مواقع مثل هذا الحذف حذف الفعل بعد فعل يشابهه فمثلاً يقولون: أكلت التمر والحليب أي أكلت التمر وشربت الحليب فحذفوا "شربت" ودلّ عليه الفعل "أكلت" وقد كثر مثل هذا الأسلوب في القرآن الكريم لما أنه نزل بلغتهم فقال تعالى:

"وألقى في الأرض رواسي أنْ تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون"[6].

وإنْ فككنا الحذف لصار الكلام هكذا: وألقى في الأرض رواسي أنْ تميد بكم وفجّر أنهاراً كي تسقوا ومهّد سبلاً لعلكم تهتدون وجعل علامات وبالنجم هم يهتدون".

---

[1] شرح ديون امرئ القيس، ص 37

[2] ديوان الحطيئة، ص 88

[3] ديوان سيدنا حسان بن ثابت الأنصاري، ص 111

[4] المصدر نفسه، ص 13

[5] أمية بن أبي الصلت حياته وشعره، ص 39

[6] سورة الأحزاب: 17

ومن أمثلة كلام العرب الجاهلي على هذه الدعوى ما قاله لبيد بن أبي ربيعة العامري:

فعلا فروع الأيهقان وأطفلت بالجهلتين ظباؤها ونعامها[1]

أي باضت نعامها.

وقال شاعر آخر:

يا ليت زوجك قد غدا متقـلّداً سـيفاً ورمحا[2]

أي حاملاً رمحاً.

وقال الراعي النميري:

إذاما الغانيـات برزن يوماً وزجّجن الحواجب والعيونا[3]

أي وكحّلن العيونا.

وقال أمية بن أبي الصلت:

يوقف الناس للحساب جميعاً فشـقيّ معذّب وسـعيد[4]

أي وسعيد منعَم.

3. **اختلاف الصلة والفعل:** من مواقع الحذف في القرآن اختلاف الصلة والفعل[5] أي مجئ صلة لفعل يحذف فمثلاً قال تعالى:

"قالوا أ جئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إنْ كنت من الصادقين"[6].

هنا صلة "عن" ليست لـ"تأفك" بل هي لـ"تثني" أو "تصدّ" أو "تضلّ". وهذا كثير ومنه "وتبْ علينا ---"[7].

ومن شواهد الأدب العربي الجاهلي على ما قلنا قول امرئ القيس الكندي:

تصدّ وتبـدي عن أصيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل[8]

---

[1] شرح القصائد العشر للتبريزي، ص 158

[2] المصدر نفسه

[3] شعر الراعي النميري وأخباره، ص 156

[4] أمية بن أبي الصلت حياته وشعره، ص 198

[5] مجموع رسائل الإمام الفراهي في القرآن، ص 199

[6] سورة الأحقاف: 22

[7] سورة البقرة: 128

[8] ديوان امرئ القيس، ص 30

أي تكشف عن أصيل.
وقول زهير بن أبي سلمى:

فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا إلى كلأ مستوبل متوخّـــم[1]

أي جروا إلى كلأ.
وقول طرفة بن العبد البكري:

وتبسم عن ألمى كأنّ منوّراً تخلّل حرّ الرّمل دعص له ند[2]

أي تكشف عن ألمى.
وقول عمرو بن معديكرب الزبيدي:

ظللت كأني للرماح دريئة أقاتل عن أبناء جرم وفرّت[3]

أي أدافع عن أبناء جرم.
وقول مجنون ليلى:

وراحوا مقصّرين وخلّفوني إلى حزن أعالجه شديد[4]

أي فوّضوني إلى حزن.

4. **مجئ الحال عن المجرور:** مما نجد في القرآن من مشكلات نحوية مجئ الحال عن المجرور فنرى أنّه في بعض الأحيان يستخدم الحال عن المجرور، الأمر الذي يشكل على طلبة القرآن وباحثيه الذين لا يتفكّرون فيه في ضوء كلام العرب القحّ. فمثلاً قال تعالى:
"إنْ نشأ ننزّل عليهم من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين"[5].
فهنا "خاضعين" وقع حالاً عن الضمير المجرور في "أعناقهم".
وكذا قوله تعالى: "به سامراً تهجرون ---"[6].
فهنا أيضاً وقع "سامراً" حال عن الضمير المجرور في "به".
وقد كثر وقوع الحال عن المجرور في الأدب العربي الجاهلي فقال امرؤ القيس الكندي:

---

[1] ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 85
[2] شرح القصائد العشر، ص 78
[3] شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي، ص 55
[4] ديوان مجنون ليلى، ص 73
[5] سورة الشعراء: 4
[6] سورة المؤمنون: 67

كأنّ ســـــراته لدى البيت قائماً مداك عروس أو صلاية حنظل[1]

فوقع "قائماً" حال عن الضمير المجرور في "سراته".

وقال نابغة بني جعدة:

تلألأ كالشعرى العبور توقّدت وكان عمـــــاء دونها فتحسّرا[2]

فـ"توقّدت" وقع حالاً عن الشعرى العبور.

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدي:

تمنّاني على فرس عليه جالساً أسده[3]

فـ"جالساً أسده" حال عن الضمير المجرور في "عليه"

وقال الراعي النميري:

أخذوا العريف فقطّعوا حيزومه بالأصبحية قائمـــــاً فعلولا[4]

وقال مجنون ليلى:

أبى القلب إلا حبّها عامـــــرية لها كنية عمرو وليس لها عمرو[5]

5. **هل للإثبات:** وكذا يستخدم القرآن في معظم الأحيان "هل" لا للاستفهام بل للإثبات كما قال تعالى:

"هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا ----"[6]

وكذا استخدمه العرب في كلامهم فقال عنترة بن معاوية بن شدّاد التالي:

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدّار بعد توهّم[7]

وقال باعث بن صريم اليشكري:

سـائل أسـيد هل ثارت بوائل أم هل شفيت النفس من بلبالها[8]

وقال زهير بن أبي سلمى:

---

[1] ديون امرئ القيس (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص 373

[2] جمهرة خطب العرب، 779/2

[3] شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي، ص 71

[4] شعر الراعي النميري وأخباره، ص 137

[5] ديوان مجنون ليلى، ص 83

[6] سورة الإنسان: 1

[7] شرح القصائد العشر، ص 210

[8] لسان العرب، مادة: و ء ل

ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة وذبيان: هل أقسمتم كلّ مقسم
فلا تكتمنّ الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم[1]

أساليب القرآن: كما ادّعى القرآن ذاته بأنه نزل بلسان عربيّ مبين[2] أي بنفس الأساليب التي توجد في اللغة العربية والتي يستخدمها فصحاء العرب وبلغاءهم ولنا أمثلة قادمة من القرآن الكريم والأدب العربي الجاهلي، تثبت ما نقول ونرى.

1. **الجملة المعترضة:** نجد في القرآن أمثلة عديدة حيث جاءت جملة معترضة بين الكلام وهذه الجمل المعترضة تلعب دوراً بارزاً في تبليغ المعنى المراد وتنبيه القارئ فمثلاً قال تعالى لدى ذكر الساعة:

"إنّ الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كلّ نفس بما تسعى"[3].

فمجيئ "أكاد أخفيها" للاعتراض.

وقد كثر في كلام العرب مجيئ الجمل المعترضة الهادفة وننقل فيما يلي طرفاً من الأمثلة. قال زهير بن أبي سلمى:

وما أدري وسوف إخال أدري أ قوم آل حصن أم نساء[4]

فـ"وسوف إخال أدري" جملة معترضة.

وقال الراعي النميري:

ولم أجد غرة الخلائق إلا الدين لما اعتبرت والحسب[5]

فـ"لما اعتبرت" جملة معترضة.

وقال مجنون ليلى:

عديني بنفسي أنت وعداً فربما جلا كربة المكروب عن قلبه الوعد[6]

فـ"بنفسي أنت" جملة معترضة.

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدي:

---

[1] ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 81
[2] سورة الشعراء: 195
[3] سورة طه: 15
[4] ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 12
[5] شعر الراعي النميري وأخباره، ص 18
[6] ديوان مجنون ليلى، ص 58

ولو أبصرت والبصر الـ مبين قلّ من يجـــــــــده
إذن لعلمـــــــــت أنْ أبا ك ليث فوقه لبـــــــــده[1]

فـ"والبصر المبين قلّ من يجده" جملة معترضة.

وقال الراعي النميري:

كأنّ رقيتها والليـــــــل معتكر بعد الرقـاط وقد مالت بها الأسد
صهـباء صافية أغـلى التجار بها من خمر عانة يطفو فوقها الزبد[2]

فـ"والليل معتكر بعد الرقاط وقد مالت بها الأسد" جملة معترضة.

2. **البيض المكنون:** في بعض الأحيان يستخدم القرآن للشيئ المصون تعبير "بيض مكنون" يعني أنّ ذاك الشيئ مصون فلا تهتك عزته. إنه كذلك يشير إلى عفة ذاك الشيئ ولونه فمثلاً قال تعالى:
"كأنهنّ بيض مكنون"[3].

ونجد في الأدب العربي الجاهلي أمثلة عديدة لمثل هذا التعبير فقال امرؤ القيس الكندي:

وبيضة خـدر لا يرام خبـــاؤها تمتّعت من لهو بها غير معجل[4]

وقال النابغة الذبياني:

لقد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم المطر[5]

وقال امرؤ القيس وهو أوضح:

كبكر المقاناة البيض بصفرة غذاها نمير الماء غير محلّل[6]

وقال مجنون ليلى:

غنّت لنا وعيون من براقعها مكنونة مقل الغزلان والبقر[7]

3. **ضمير الجمع المذكّر للمرأة:** خاطب القرآن النساء بجمع المذكّر فقال:

---

[1] شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي، ص 75
[2] شعر الراعي النميري وأخباره، ص 50
[3] سورة الصافات: 59
[4] شرح القصائد العشر، ص 37
[5] النابغة الذبياني، ص 177
[6] شرح القصائد العشر، ص 49
[7] ديوان مجنون ليلى، ص 112

"أ تعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت"[1].

وبما أنّ المفسّرين لم يحيطوا بكلام العرب الجاهلي فأخطأوا في تأويله وظنّوا أنّ هناك رجالاً اشتركوا في هذا الخطاب والواقع أنّ الخطاب لنسوة النبي ولا غير. نذكر هنا بعض الأمثلة من كلام العرب الجاهلي. قال امرؤ القيس الكندي:

فلو أنّ أهل الدار فيها كعهدنا وجدت مقيلاً عندهم ومعرّسا[2]

وقال عمر بن أبي ربيعة القرشي:

فوالله ما للعيـــــش ما لم ألاقكم وما للهوى إذما تزارين من طعم

أ لم تعلمـي ما كنت آليت فيـكم وأقسمت لا تخلين ذاكرة باسمي[3]

وقال أبو صخر الهذلي:

ولما بقيت ليبقـينّ جـــــوًى بين الجوانح مضرع جسمي

فتعلمـي أنْ قـد كلفت بكـــم ثم افعلـي ما شـئتِ عن علـم[4]

وقال دريد بن صمة تخاطب الخنساء:

أ خناسُ قد هام الفؤاد بكم واعتـــاده داء من الحـبّ[5]

وقال خالد بن زهير:

وقاسـمها بالله جهـــداً لأنتم ألذ من السلوى إذاما نشورها[6]

4. **مجيئ الصفات المتعدّدة بغير الواو:** يكثر في القرآن مجيئ الصفات المتعدّدة بدون الواو وهذا لمجرد أنّ القائل يريد أنْ يبيّن أنّ تلك الصفات شاملة في الموصوف في وقت واحد فمثلاً قال تعالى:

"وهو الغفور الودود ذو العرش المجيدُ فعّال لما يريد"[7].

---

[1] سورة هود: 73

[2] ديوان امرئ القيس، ص 105

[3] شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة القرشي، ص 243

[4] شرح ديوان الحماسة للتبريزي، 68/2

[5] ديوان دريد بن الصمة، ص 34

[6] شعراء الهزليين، ص 215

[7] سورة البربوج: 14

ولنا أمثلة كثيرة في الأدب العربي الجاهلي تثبت ما ادّعينا فقال امرؤ القيس الكندي يمدح فرسه:

وقد اغتـــــدي والطير في وكناتها بمنجرد قيـــــــــد الأوابد هيكل
مكـرّ مفـرّ مقبـــــــل مدبر معـــاً كجلمود صخر حطّه السيل من عل
كميـت يزلّ اللبـــد عن حـال متـنه كما زلّت الصفـواء بالمتنـــــــزّل
على الذبل جيّـــاش كأنّ اهتـــزامه إذا جاش فيه حميه غلي مرجـــــل
مصحّ إذاما الســـابحات على الونا أثرن الغبـــــــار بالكديد المركّل[1]

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدي:

فقال لي قول ذي رأي ومقدرة مجرّب عاقل نزه عن الرّيب[2]

وقال في موضع آخر:

وكائن كان قبلك من نعـــــيم وملك ثابت في الناس رأسي
قديم عهده من عهد عـــــاد عظيم قاهـر الجبروت قاسي[3]

وقال أمية بن أبي الصلت:

القـائلين الفـاعلين الآمـــريـ ن بكلّ صـــــــــــــالح
المطعمين الشحم فوق الخبـ ز شحمـــــاً كالأنافـــــع[4]

5. **مبالغة النفي إذا دخل على المبالغة:** يستخدم القرآن لإزالة الظلم من الله تعالى تعبير "ليس بظلّام" أي ينفي العيب البتة عن طريق المبالغة في النفي فيقول مثلاً: "إنّ الله ليس بظلّام للعبيد"[5].

أي لا يشوبه صفة الظلم.

وهذا كثير في الأدب العربي الجاهلي فقال امرؤ القيس الكندي:

وقد علمت سلمى وإنْ كان بعلها بأنّ الفتى يهذي وليس بفعّال[6]

---

[1] شرح القصائد العشر، ص 55
[2] شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي، ص 59
[3] المصدر نفسه، ص 117
[4] أمية بن أبي الصلت حياته وشعره، ص 175
[5] سورة آل عمران: 182 وسورة الأنفال: 51 وسورة الحجّ: 10
[6] شرح ديوان امرئ القيس، ص 61

وقال أيضاً:

إذا المرء لم يحزن عليه لسانه فليس على شيئ سواه بحــزّان[1]

وقال خثيم بن عدي:

ولست بهيّاب إذا شـــدّ رحله يقول عداني اليوم وافٍ وحاتم[2]

وقال مجنون ليلى:

فدومي على عهد فلست بزائل عن العهد منكم ما أقام عسيب[3]

وقال أيضاً:

فإنْ تبكِ للبرق الذي هيّج الهوى أعنْك وإنْ تصبر فلست بصبّار[4]

الأعلام والأسماء: نجد في القرآن أعلاماً وأسماء لو جاء ذكرها في كتب التاريخ ولكنّها تزداد جلاءً وتفصيلاً إذا استفدنا فيها من الأدب العرب الجاهلي ومن مثل تلك الأسماء والأعلام ما يلي:

1. **الرسّ:** ذكر القرآن الكريم الرّس وأصحابه كما يلي:

"--- وعاداً وثموداً وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً"[5].

يبدو من هذا أنّ أصحاب الرسّ كانوا قوماً عرفهم العرب وقد جاء ذكرهم في الأدب العربي الجاهلي فقال زهير بن أبي سلمى:

بكرن بكوراً واستحرن بسحرة فهنّ ووادي الرسّ كاليد للفم[6]

وقال أيضاً:

لمن طلل كالوحي عافٍ منازله عفا الرسّ منه فالرسيس فعاقله[7]

وقال الشاعر الحماسي:

وما نام ميّــاح البطاح ومنعــج ولا الرسّ إلا وهو عجلان ساهر[8]

---

[1] المصدر نفسه، ص 125
[2] لسان العرب، مادة: و ف ي
[3] ديوان مجنون ليلى، ص 27
[4] المصدر نفسه، ص 98
[5] سورة الفرقان: 38
[6] ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 77
[7] المصدر نفسه، ص 64
[8] شرح ديوان الحماسة للتبريزي، 208/2

وقال الحطيئة:

عفى الرسّ والعلياء من أمّ مالك فبرك فؤادي واســـــــط فمنيم[1]

وقال امرؤ القيس:

وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا بوادي الخزامي أو على رسّ أوعال[2]

2. **الشعرى:** ذكر مما ذكره القرآن من الكواكب والنجوم الشعرى فيقول فيه: "وإنه هو ربّ الشعرى وإنه هو أغنى وأقنى"[3].

وبصرف النظر عن تاريخ الشعرى نراجع الشعر العربي الجاهلي الذي سيدلنا على أهميته بين العرب وسنعلم به السبب وراء ذكر القرآن هذا النجم. ذكر ابن منظور القول السائر عن هذا النجم:

"إذا طلعت الشعرى جعل صاحب النخل يرى"[4].

ومما ذكر فيه من أبيات الجاهلية قول الشنفري الأزدي التالي:

ويوم من الشعرى يذوب لعابه أفاعـــــيه في رمضائه تتململ[5]

وقال الراعي النميري:

ونار وديقة في يوم هيـــــــج من الشعرى نصبت لها الجبينا[6]

وقال الشاعر الحماسي:

شامس في القرّ حتى إذاما ذكت الشعرى فبردٌ وظلّ[7]

3. **التين:** ذكر القرآن التين في سورة التين، يبدو من دراسته أنه اسم لمكان ولكنّ المفسّرين زعموه فاكهة فكتبوا صفحات في فوائدها ولو راجعوا الأدب العربي الجاهلي لما فعلوا ذلك. يقول النابغة الذبياني:

وهبّت الريح من تلقـــــاء ذي أرل تزجي مع الليل من صرّادها صرما

صبّ الظلال أتين التين عن عرض يزجين غيماً قليـــــــــلاً ماؤه شبما[1]

---

[1] ديوان الحطيئة، ص 105
[2] شرح ديوان امرئ القيس، ص 52
[3] سورة النجم: 49
[4] لسان العرب، مادة: ش ع ر
[5] ديوان مختارات شعراء العرب، ص 26
[6] شعر الراعي النميري وأخباره، ص 158
[7] شرح ديوان الحماسة للتبريزي، 160/1

وقال شييم بن خويلد الفزاري:

حلّت أمـــامة بطن التين فالرقما واحتلّ أهلك أرضاً تنبت الرتما[2]

وقال الباهلي:

إذاً لجعلت التين بيني وبيـــنكم وهضبة زيد الخيل فيها المصانع[3]

وقال عوام بن عبد الرحمن:

أ حقاً ذرى التينين أنْ لستُ رائياً قلالكما إلا لعينيّ ســـــــاكب[4]

وقال السكوني:

ألا ليت شعـــري هل أبيتنّ ليلة بأسفل ذات الطلح ممنوعة رهبى

وهـل قـائل هـذاكم التين قـد بدا كأنْ ذرى أعـلامه عمّمتْ عصبا[5]

وقال أبو محمّد الفقعي:

ترعى إلى جدٍّ لها مكين أكناف خوٍّ فبراق التين[6]

4. **لقمان:** ذكر القرآن من بين الصالحين لقمان الذي لم يكن عارفاً بالله فحسب بل حاول أنْ يربّي ولده تربية إسلامية حقة. قال القرآن كما يلي:

"ولقد آتينا لقمان الحكمة أنْ اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه --- وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنيّ لا تشرك بالله ---"[7].

يشير إلى هذا العبد الصالح تراث العربية المطبوع كما يلي:

فيقول الشاعر زهير بن أبي سلمى:

أ لم تر أنّ الله أهلك تبّعـــاً وأهلك لقمان بن عاد وعاديا[8]

وقال سلمى بن ربيعة:

أهلكن طمساً وبعده غـــذيٌّ وذا جـدون

---

[1] ديوان النابغة الذبياني، ص 73

[2] النقائض، ص 106

[3] معجم الشمال، 273/1

[4] الفرحة، ص 104

[5] المصدر نفسه

[6] بلاد العرب، ص 48

[7] سورة لقمان: 12-13

[8] ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 107

وأهل جأش ومأرب وحيّ لقمان والتّقون[1]

وقال صلّتان العبدي:

أ لم تر لقمـــــان أوصى ابنه وأوصيت عمراً فنعم الوصيّ
بنيّ بدا خبء نجوى الرّجـال فكنْ عند سرّك خبء النجيّ
وسـرّك ما كان عنـد امـرئ وسرّ الثلاثة غيـــر الخفيّ[2]

وقال أمية بن أبي الصلت:

ولستم بأحسن صنـــعاً ولا أشـــدّ قوى صلب من أدم
مصانع لقمـــــان قد نالها لها صلب طامحـــات المجم
إذاما دخلت محـــــاريبهم رأيت نصـــــاراهم كالنعم
خـــــلا وقد كان أربابها عتاق الوجوه حســان اللحم
ملوكاً على أنّهم ســـــوقة ولا يدهم كظبـــــاء السلم
فغيّر ذلك ريبُ المنـــــو ن والمرء ليس له مال يحتكم[3]

5. **ذو القرنين:** وعلاوة على هؤلاء هناك إشارة بليغة في الأدب العربي الجاهلي إلى الشخصيات المذكورة في القرآن مثل ذو القرنين[4] وعاد[5] وثمود[6]. نذكر بعض الأبيات كمثال. يقول امرؤ القيس الكندي:

أصدّ نشاص ذي القرنين حتى تولّى عارض الملك الهمـام[7]

وقال زهير بن أبي سلمى:

وأهلك ذا القرنين من قبل ما ترى وفرعون، جبّاراً طغى والنجاشيا[8]

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدي:

---

[1] شرح ديوان الحماسة للتبريزي، 14/2
[2] المصدر نفسه، ص 58
[3] أمية بن أبي الصلت حياته وشعره، ص 260-261
[4] سورة الكهف: 83 و86 و94
[5] أنظر: سورة الأعراف: 73 وسورة التوبة: 70 وسورة هود: 50
[6] أنظر: سورة الأعراف: 73 وسورة هود: 61 وسورة إبراهيم: 9
[7] ديوان امرئ القيس، ص 60
[8] ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 107

وسيف لابن ذي قيفان عندي تخيره الفتى من عهــد عاد[1]

وقال لقيط بن يعمر الأيادي:

على حنـق أتيـنكم فهـذا أوان هلاككم كهلاك عاد[2]

وقال زهير بن أبي سلمى:

كما سحرت به إرم وعاد فأضحوا مثل أحلام النيام[3]

الحضارة والثقافة الجاهلية: نزل القرآن فيما بين العرب وبدأ دعوته منهم فوجب أنْ يبحث عن ظروفهم وتقاليدهم وحدث كذلك وتكلّم القرآن عن مجتمعهم وثقافتهم فكشف الستار عن عاداتهم السيئة كما أثنى على تقاليدهم الحسنة. وعندما يقوم أحدٌ بدراسة القرآن يلجأ إلى الكتابات والأقوال التي تصرح عن تلك الحقائق والأشياء والأدب العربي الجاهلي خير وسيلة لهذا الأمر فهو مليئ بالمعلومات عن عقائدهم وأفكارهم وما تخيّلوه صحيحاً أو خاطئاً. يقول الشيخ أمين أحسن الإصلاحي وهو يشير إلى هذا الواقع:

"هذه الدلالة ليست عن جهة اللغة وأسلوبها فقط بل هي أيضاً عن جهة معروف العرب ومنكرهم وخصائص حياتهم الاجتماعية ومستويات الخير والشرّ في مجتمعهم ووجهات نظرهم الاجتماعية والحضارية والسياسية وأشغالهم اليومية في حياتهم وأعراف وعقائدهم الدينية وما إلى ذلك فما أعانني الكلام في فهم هذه الأمور أكثرُ من مصدر آخر ويجب علمها على من يريد الفهم الصحيح لإشارات القرآن وتلميحاته وتعريضاته وكناياته ثم يرغب في تفهيم الناس إياها فقد تعرض القرآن لهذه الأمور كلها وبيّن خيرها وشرّها ولذلك فنرى من بين الآيات إشارات وكنايات يصعب توضيحها ما لم يقف القارئ على بدع العهد الجاهلي مع الوقوف على إصلاحات العهد الإسلامي"[4].

فنودّ أنْ نشير إلى حقائق ومعارف عن الحضارة والثقافة الجاهلية، مذكورة في القرآن وفي كلام العرب.

---

[1] شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي، ص 96

[2] شرح القصائد العشر، ص 313

[3] ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 100

[4] تدبر قرآن، 16/1

1. يقول القرآن لدى إرشاد النساء: "--- ويدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ---"[1].
كان الحجاب متداولاً بين نساء الأشراف فهذا الأمر ليس بما ابتدعه الإسلام كما يظنّه علماء الاستشراق. يشير إلى هذا الواقع ما قاله شاعرة بني هذيل ترثي:

تمشي الســـنّور إليه وهي لاهية مشي العذارى عليهنّ الجلابيب[2]

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي:

فيهنّ هنـد وقـد هـام الفؤاد بها بيضاء آنسـة بالحسن موســـومه
مكمـــورة كمهاة الجوّ ناعمــة تدني النصيف بكفّ غير موشومه[3]

وقال النابغة الذبياني:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتنـــــــاولته واتقتنا باليـــــــد[4]

وقال الحطيئة:

طـربت إلى من لا تؤاتيك داره ومن هـو نـاءٍ والصـبابة قد تضـــــر
إلى طفلة الأطراف زيّن جيدها مع الحليّ والطيب المجاسد والخمر[5]

2. كانت العرب مولعين بالحرب وكانوا يشنّون الغارة في الصباح المبكّر فقال القرآن مشيراً إلى هذه العادة منهم:
"ولقد صبّحهم بكرة عذاب مستقرّ"[6].
ولفهم تلك الإشارة لا بد من مراجعة الأبيات التالية:
يقول امرؤ القيس الكندي:

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيـــــد الأوابد هيكل[7]

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدي:

صبّحت بهم بيوت بني زياد وجرد الخيل تعثر بالرّمــاح[8]

---

[1] سورة الأحزاب: 59
[2] تدبر قرآن، 269/6
[3] ديوان مختارات شعراء العرب، ص 96
[4] ديوان النابغة الذبياني، ص 93
[5] ديوان الحطيئة، ص 48
[6] سورة القمر: 38
[7] شرح القصائد العشر، ص 37
[8] شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي، ص 59

وقال أيضاً:

ومردٍ على جردٍ شهدتُ طرادَها قبيل طلوع الشمس أو حين ذرّت[1]

وقال النابغة الذبياني:

لعمري لنعم الحي صبّح سربنا وأبيــاتنا يوماً بذات المزاود[2]

3. كانت العرب مولعين بالفخر بآبائهم حتى لم ينحرفوا عن هذه العادة السيئة يوم عرفات وعقدوا لها جلسات أنشدوا فيها قصائد طوالاً. قال الله تعالى مشيراً إلى عادتهم تلك:

"فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آبائكم أو أشدّ ذكراً ---"[3].

ولفهم هذه الحقيقة جلياً ننقل الأبيات التالية التي هي ملؤها فخراً بالآباء:

قال زياد الحارثي:

لم أرَ قوماً مثلنا خيـــر قومهم أقلّ به منــا على قوم فخــرا

وما تزدهينا الكبـــــرياء عليهم إذا كلّمــونا أنْ نكلّمهم نزرا

ونحن بنو ماء الســماء فلا نرى لأنفسنا من دون مملكة قصرا[4]

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

إما ســألت فإنا معشـــر نجب الأزد نسبتنا والمـــاء غسّان

شمّ الأنوف لهم مجد ومكــرمة كانت لهم كجبال الطود أركان[5]

وقال أيضاً:

ورثت الفعال وبذل التلا د والمجــد عن كابر كابر

وحمل الديات وفكّ العنا ة والعزّ في الحسب الفاخر

بكل متين أصمّ الكعوب وأبيـض ذي رونق باتــر[6]

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدي مشيراً إلى ما قام به آباؤه من المحامد:

---

[1] المصدر نفسه، 62

[2] ديوان النابغة الذبياني، ص 55

[3] سورة البقرة: 200

[4] شرح ديوان الحماسة للتبريزي، 326/2

[5] ديوان سيدنا حسان بن ثابت الأنصاري، ص 50

[6] شرح ديوان الحماسة للتبريزي، 326/2

أولئك معشـــري وهم جبـالي وحزني في كريهتهم وحدّي
هم قتلوا عزيزاً يوم لجـــج وعلقـمة بن سعــد يوم نجد
وكم من ماجـــــد ملك قتلنا وآخـــر سـوقة عزب قمدّ[1]

4. قال الله تعالى عن الإنفاق فذكر ما هو المال الذي يعطي المنفق خيراً كثيراً: "وآتى المال على حبّه ---"[2].

ولاشك أنّه لو أعطي المال وهو محبوب لانكشف منه الخلوص والعاطفة للرفاهية. فهم هذه الحقيقة عرب الجاهلية فنظموها في أبياتهم فيقول عدي بن يزيد بن حمار وهو يمدح بني شيبان:

إني حمدت بني شيبان إذ خمدت نيران قومي وفيهم شبّت النار
ومن تكرمهم في المحـــل أنهم لا يعلم الجـــار فيهم أنه جار
حتى يكون عزيزاً من نفوسهم أو أنْ يبين جميعاً وهو مختار[3]

وقال المقنّع الكندي:

ليس العطاء الفضول سماحة حتى تجـــود وما لديك قليل[4]

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

إني لمعطٍ لو وجدت وقائل لموقد ناري ليلة الريح أوقد[5]

وقال أيضاً:

فلتصبحـــن وأنت ما ليقين علمك حامـــــده
المطعمـــون إذا سنو ن المحل تصبح راكده[6]

5. يأخذ القرآن لإثبات القيامة ودهشتها الجبال الراسية فيقول إنها تكون آنذاك مثل كسرات القطن تطير في الفضاء، هذا شيئ عجيب لا سيما للعرب الذين يظنون أنّ الجبال هي التي تصونهم من الأعداء وتعطيهم رزقهم في بعض

---

[1] شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي، ص 82-87
[2] سورة البقرة: 177
[3] شرح ديوان الحماسة للتبريزي، 108/1
[4] المصدر نفسه
[5] ديوان سيدنا حسان بن ثابت الأنصاري، ص 28
[6] المصدر نفسه، ص 35-36

الأحيان وتمدّ في بناء بيوتهم الشامخة. أشار القرآن إلى معتقدهم ذلك بقوله "ويسئلونك عن الجبال ---"[1] ومضى قائلاً فكسر ما اعتقدوه. لفهم هذه الحقيقة وما يريد القرآن أنْ يبلّغه ندرس الأدب العربي الجاهلي الذي يملأه ذكر الجيال وما اعتقدوه فيها. فيقول زهير بن أبي سلمى:

ألا لا أرى على الحوادث باقيا ولا خالداً إلا الجبال الرواسيا

وإلا السـماء والبلاد وربّنا وأيامنا معـدودة والليالياً[2]

وقال مجنون ليلى:

حلفت بمن أرسى ثبـيراً مكانه عليه ضباب مثل رأس المعصّب[3]

وقال المتلمّس:

ألم تر أنّ الجون أصبح راسياً تطيف به الأيـام ما يتأيس[4]

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

فيشفين من لا يستطاع شفاؤه ويبقين ما يبقى الجبال الخوالد[5]

وبناءً على ذلك قال علقمة بن علاثة العامري عن عزة العرب:

"ومن يبل العرب يعرف فضلهم فاصطنع العرب فإنها الجبال الرواسي عزاً"[6]

6. وبما أنّ العرب كانوا يعيشون في الصحراء وكانوا محرومين من الأسباب للعلم بالأوقات والجهات فكانوا يهتدون بالنجوم والكواكب، الأمر الذي أشار إليه القرآن في الآية التالية:

"وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا ----"[7].

لفهم هذه الآية نرجع إلى كلام العرب الجاهلي فيقول النابغة الذبياني:

أقول والنجم قد مالت أواخره إلى المغيب تبين نظرة جار[8]

---

[1] سورة طه: 105
[2] ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 107
[3] ديوان مجنون ليلى، ص 42
[4] شرح ديوان الحماسة للتبريزي، 269/1
[5] ديوان سيدنا حسان بن ثابت الأنصاري، ص 30
[6] جمهرة خطب العرب 61/1
[7] سورة الأنعام: 97
[8] النابغة الذبياني، ص 241

وقال امرؤ القيس الكندي:

نظرت إليها والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشبّ لقفال[1]

وقال تأبط شراً:

شامس في القرّ حتى إذاما ذكت الشعرى فبرد وظلّ[2]

وقال شاعر آخر:

أما ابن طوق فقد أوفى بذمته كما وفى بقلاص النجم حاويها[3]

وقال العرندس:

ومن تلق منهم تقل لاقيتُ سيّدهم مثل النجوم التي يسري بها السّاري[4]

7. من الأشياء والشخصيات التي عبدها عرب الجاهلية الجنّ فأشار إليه القرآن في الكلمات التالية:

"أفتتّخذونه وذريته أولياء من دوني ----"[5].

لفهم هذه الإشارة نراجع الأدب العربي الجاهلي فقال الشاعر:

قد استعذنا بعظم الوادي من شرّ ما فيه من الأعادي

فلم يجرنا من هزبر عادي[6]

وقال شاعر آخر:

يا جنّ أجزاء اللوى من عالج عاذ بكم ساري الظلام الدالج

ولا ترهقوه بغويّ هائج[7]

وقال شاعر آخر:

أعوذ من شرّ البلاد البعيد بسيّد معظم مجيد[8]

---

[1] ديوان امرئ القيس، ص 149

[2] شرح ديوان الحماسة للتبريزي، 343/1

[3] بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، 239/2

[4] شرح ديوان الحماسة للتبريزي، 270/2

[5] سورة الكهف: 50

[6] بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، 326/2

[7] المصدر نفسه

[8] المصدر نفسه

8. وبالنسبة إلى عبادات العرب ومعتقداتهم فنجد كلمة "الرحمن" عامة متداولة في العرب، يقول الله تعالى:

"وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ---"[1].

لنرَ استخدامات الكلمة المذكورة في عرب الجاهلية، يقول حاتم الطائي:

كلوا الآن من رزق الإله وأيسروا فإنّ على الرحمـــن رزقكم غدا[2]

وقال أعشى قيس:

ولا جعل الرحمن بيتك في العلا بأجياد غربيّ الصفا والمحرم[3]

وقال المثقب العبدي:

لحى الرحمن أقواماً أضاعوا على الوعواع أفراسي وعيسى[4]

وقال سويد بن أبي كاهل اليشكري:

كتب الرحمن والحمـــــد له سعةَ الأخلاق فينا والضلع[5]

وقال سلامة بن جندل السعدي:

عجلتم علينا عجلتينا عليكم وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق[6]

9. وقتل الأولاد ووأد البنات كان عامّاً في العرب فكانوا يرتكبون هذه الجريمة لأجل عزة النفس وقلة المال. انتقد القرآن فعلهم هذا وقال:

"لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ---"[7].

منع القرآن العرب عن هذا الفعل الشنيع وقال إنّ الله هو الرزّاق لكم ولأولادكم فلا تفعلوا كذلك.

لنفهم هذا الواقع في ضوء كلام العرب الجاهلي. فقال أبو الصلت والد أمية يفتخر بأسرته:

إنا لنحن نسـوق العيـر آونة بنسوة شعث يزجين ولـــــدانا

---

[1] سورة الفرقان: 60
[2] ديوان حاتم الطائي، ص 231
[3] ديوان أعشى قيس، ص 159
[4] معجم البلدان، 380/5
[5] المفضليات، ص 197
[6] الأصمعيات، ص 197
[7] سورة الإسراء: 31

وما وأدنا حذار الهزل من ولد فينا وقد وأدت أحياء عدنانا[1]

وقال ابن الأعرابي:

ما لقي الموؤد من ظلم أمه كما لقيت ذهل جميعاً وعامر[2]

وممن منعهم عن هذه الجريمة جدّ الشاعر الكبير الفرزدق فيقول مفتخراً:

ومنا الذي منع الوائدات وأحيا الوئيـدة لم توأد[3]

10. ما احتله الإبل من الأهمية بين العرب لا يخفى على من له أدنى إلمام بالأدب العربي الجاهلي فكانوا ينالون منها رزقهم ويركبون حتى اعتبروا العشار خيراً[4] فقال القرآن مشيراً إلى تلك الحقيقة:

"وإذا العشار عطّلت ---"[5].

لفهم هذا الواقع عند العرب ندرس الأبيات التالية:

قال عمرو بن معديكرب الزبيدي:

أمرت الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب[6]

وهذا كثير فنوجز البحث ناقلاً طرفاً من أبيات معلقة طرفة بن العبد:

وإني لأمضي الهمّ عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي

أمون كألواح الإران نسـأتها على لاحب كأنه ظهـر برجد

تباري عتـاقاً ناجيات وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مور معبّد

تربّعت القفين بالشـول ترتقي حدائق مولي الأسـرة أغيد

تريع إلى صوت المهيب وتتقي بذي فصل ردعات أكلف ملبد

كأنّ جناحي مضـرحيّ تكنّفا حفافيه شكّا في العسيب بمسود[7]

---

[1] أمية بن أبي الصلت حياته وشعره، ص 44

[2] بلوغ الأرب في أحوال العرب، 42/3

[3] تاريخ دول العرب والإسلام، 43/1

[4] لسان العرب، مادة: خ ي ر

[5] سورة التكوير: 4

[6] شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي، ص 47

[7] شرح القصائد العشر، ص 80-84

قائمة المصادر والمراجع
(المختارة)

1. ابن عبد ربه: العقد الفريد (تحقيق: أحمد أمين وغيره)، مكتبة المثنى، بغداد، 1967م
2. ابن قتيبة: أدب الكاتب (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، مطبعة السعادة، مصر، 1382ه
3. أبو الفرج، الأصبهاني: الأغاني، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1401ه
4. أحمد زكي، صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العربية، بيروت، اسم المطبع وسنة الطبع لم يذكرا
5. أمين أحسن، الإصلاحي: تدبر قرآن، شركة تاج، دلهي، الطبعة الأولى، 1989م
6. أمين أحسن، الإصلاحي: قاموس ألفاظ واصطلاحات قرآن (جمع وتحقيق: الدكتور أورنك زيب الأعظمي)، إسلامك بك سينتر، دلهي، الطبعة الأولى، 2004م
7. الأنباري: شرح المفضليات (تحقيق: كارنوس يعقوب لابل)، بيروت، 1921م

8. بهجة عبد الغفور، الحديثي: أمية بن أبي الصلت حياته وشعره، مطبع الشئون الثقافية العامة، بغداد، 1991م
9. التبريزي، العلامة: شرح القصائد العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1985م
10. التيريزي، العلامة: شرح ديوان الحماسة، دار القلم، بيروت، لم يذكر اسم المطبع وسنة الطبع
11. جلال الدين، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1987م
12. الحسين بن أحمد، أبو عبد الله، الزوزني: شرح المعلقات السبع، بيروت، لبنان، لم يذكر اسم المطبع وسنة الطبع
13. ديوان الأعشى الكبير بن قيس (شرح وتحقيق: الدكتور محمد محمد حسين)، بيروت، لبنان، لم يذكر اسم المطبع وسنة الطبع
14. ديوان الحطيئة (شرح أبو الحسن السكري)، مطبعة التقدم، مصر، 1323ھ
15. ديوان الخرنق (تحقيق: حسين نصار)، دار الكتاب، 1969م
16. ديوان امرئ القيس (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، سنة الطبع لم تذكر
17. ديوان جرير (شرح: ابن حبيب)، دار المعارف، سنة الطبع لم تذكر
18. ديوان حاتم الطائي (تحقيق: عادل سليمان جمال)، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية
19. ديوان دريد بن الصمة (جمع وتحقيق: محمد خير البقاعي)، دار قتيبة، دمشق، 1401ھ
20. ديوان ذي الرمة، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1392ھ
21. ديوان زهير بن أبي سلمى، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1979م
22. ديوان سيدنا حسان بن ثابت الأنصاري، مطبعة الإمام، مصر، 1321ھ

23. ديوان طرفة بن العبد (تحقيق: درية الخطيب)، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1395ه
24. ديوان عدي بن زيد العبادي (تحقيق: محمد جبار المعيبد)، بغداد، 1965م
25. ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق: خليل إبراهيم العطية، بغداد، 1392ه
26. ديوان عنترة (تحقيق: محمد سعيد مولوي)، المكتب الإسلامي، بيروت، 1403ه
27. ديوان لبيد بن ربيعة (رواية الطوسي)، فينا، 1297ه
28. ديوان لقيط بن يعمر الأيادي (تحقيق: خليل إبراهيم العطية)، بغداد، 1970م
29. ديوان مجنون ليلى (شرح: الدكتور يوسف فرحات)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1992م
30. الزركشي: البرهان في علوم القرآن (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، الحلبي، 1376ه
31. الزمخشري: أساس البلاغة (تحقيق: عبد الرحيم محمود)، دار المعرفة، بيروت، لم يذكر اسم المطبع وسنة الطبع
32. السكري: شرح أشعار الهزليين (تحقيق: عبد الستار مزاج)، دار العروبة، القاهرة، 1384ه
33. شعر الراعي النميري وأخباره (جمع وتقديم: ناصر الحاني)، دمشق، 1964م
34. شعر المثقب العبدي (تحقيق: محمد حسن آل ياسين)، مطبعة المعارف، بغداد، 1375ه
35. شعر النمر بن تولب (جمع وتحقيق: نوري حموي القيسي)، مطبعة المعارف، بغداد، 1388ه
36. شعراء النصرانية (جمع وتحقيق: لويس شيخو)، بيروت، 1890م
37. عاصم بن أيوب، أبو بكر، الوزير: شرح ديوان امرئ القيس، مطبعة هندية، مصر، 1906م
38. عبد الحميد، الفراهي: حواشي الإمام عبد الحميد الفراهي على القرآن الكريم، (مخطوط)

39. عبد الحميد، الفراهي: رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الطبعة الثانية، 1991م
40. عبد الحميد، الفراهي: مفردات القرآن، مطبعة إصلاح، سرائ مير، أعظم كره، 1358ھ
41. عبد الخالق، ابن الخواجه: مختارات شعراء العرب، المطبعة العامرة، شارع المغربلين، 1360ھ
42. عمر فروخ: تاريخ الجاهلية، دار العلم للملائين، بيروت، الطبعة الثانية، 1984م
43. عمر، الدسوقي: النابغة الذبياني، دار الفكر العربي، الطبعة السابعة، 1975م
44. مجلة فكر ونظر الفصلية، إدارة تحقيقات إسلامي، إسلام اباد، الباكستان
45. مجلة مدرسة الإصلاح السنوية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره
46. محمد بن عبد الوهاب: مسائل الجاهلية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1396ھ
47. محمد شكر، الألوسي، البغدادي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية
48. محمد طلعت حرب: تاريخ دول العرب والإسلام، مكتبة الإصلاح، الطبعة الأولى، 1989م
49. محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1992م
50. المضليات (تحقيق وشرح: شاكر هارون)، دار المعارف، مصر، سنة الطبع لم تذكر
51. ناصر الدين، الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت، الطبعة السابعة، 1988م
52. ياقوت، الحموي: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة الطبع لم تذكر

تدريس اللغة العربية
في الفصول المسائية والجزئية
(في ضوء الأهداف والمنجزات)

- أ. د. فيضان الله الفاروقي

تدريس اللغة العربية في الهند قديم كقدم ورود الإسلام إليها أو أقدم منه. فهي كانت تدرس منذ ذلك العصر إلى أوائل القرن العشرين كلغة دينية محضة تولّت تعليمها المدارس الإسلامية لفهم وتفهيم القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة من جانب والقيام بالدراسات الإسلامية الأخرى من جانب آخر، ولما بدأت الجامعات العصرية تدريس اللغة العربية كلغة أجنبية في أوائل القرن العشرين قصدها أصحاب المدارس الإسلامية من معشر المعلمين والمتعلمين أفواجاً كأن اللغة العربية ضالّتهم فهم أحقّ بها. فوق هذا، كان المنهج الدراسي للعربية الذي وضعته الجامعات لفصولها مأخوذاً إلى بعض الحدّ من الأدب العربي المتداول في تلك المدارس فلم يكن أي فرق بين أقسام العربية للجامعات وما للمدارس الإسلامية العربية إلا أنّ الأولى قامت بتدريس الأدب العربي وما يتعلق بها من الفنون كتاريخ الأدب والنقد وغيرهما. وتولّت الثانية تدريس سائر الفنون الإسلامية العربية. استمرّ الحال على هذا المنوال حتى انقلبت الظروف، وبتقدم الدول العربية اقتصادياً اضطرت بلاد أوربا إلى دراسة اللغة العربية كلغة اقتصادية وما هي إلا أيام قلائل حتى شعرت الهند بأهمية العربية من ناحية السياسة والاقتصاد. ولكن هذه اللغة التي كانت وليدة الظروف الاقتصادية والدبلوماسية كانت تختلف اختلافاً واضحاً عن اللغة التي تدرس في الجامعات الهندية آنذاك. فهذه لغة حديثة مستخدمة في شتى حقول الحياة اليومية من المكاتب الرسمية والشركات الشخصية والإذاعات اليومية وتلك لغة حافلة بالعلوم الدينية وآثار العرب الأوائل. وشتان ما بينهما. نظراً إلى هذا عمدت

الجامعات إلى تدريس اللغة العربية الحديثة بجنب تدريس الأدب العربي، أما العامل السياسي وراء الاعتناء باللغة العربية فليس أقلّ أهمية فإن الظروف السياسية العالمية الراهنة وشرها المستطير ألجأت الدول كافة إلى أن تكون مطلعة على أحوال صواحبها اطلاعاً كاملاً مؤثراً وذلك أمر متعذر التحقيق ما دامت اللغة لم تكن واسطة. تحقيقاً لهذه الأغراض قامت المعاهد والجامعات بترويج هذه الفصول المسائية الجزئية وفوّضت إليها مهمة تعليم الشعب بحيث يتمكن من بلوغ الغاية التي تأسّست من أجلها هذه الفصول. أما غايتها فهي واضحة كل الوضوح أنْ تخرج فئة من الطلبة ملمّين باللغة العربية كلغة حية بحيث يتقنها طلبتها كتابة وقراءة ونطقاً وفهماً إتقاناً ما حسب مقتضيات العصر ومستلزماته في مختلف مرافق الحياة. فيرجى من خريجي هذه الفصول أن لا يعجزوا عن إظهار ما يريدونه نطقاً وكتابة ويقدرون على استعمال اللغة المستخدمة بالمكاتب الرسمية والمنظمات الاقتصادية والثقافية. هذه هي الغاية الكبرى لهذه الفصول ومقالتي هذه تدور حول هذه الفصول من ناحية هدفها ومنجزاتها، ولكن أودّ أن أقول قبل خوضي في البحث عن المقصود أنه ما زالت معاهدنا العربية التي تتولّى تدريس هذه الفصول غير واضحة في تعيين الهدف والغاية حتى يومنا هذا. ولكن حاجات العصر الراهن ومقتضياتها فهي كما ذكرنا. أما من ناحية الوصول إلى الهدف المعين في ضوء الحاجات فأنا لست بمتردد في قولي أن هذه الفصول فشلت فشلاً ذريعاً في الوصول إلى الهدف وتحقيقه حسب المرجوء منها. ولو أنها تبدو ناجحة بقدر كبير بعين الاعتبار إلى عدد الناجحين في الامتحانات المقرّرة لها، وكذلك من ناحية تدفّق الطالبين إليها بعدد ضخم حافلين بصفوفها مزدحمين في قاعاتها، أقول هذا ولا أخاف لأني أرى معظم عدد الخريجين لا يستطيع كتابة عشر جمل يصحّ أن يقال فيها أنها عربية خالصة صحيحة ودع عنك صلاحيته في التحدث والإنشاء بمستوى الإبلاغ الكامل. أما الشهادات التي تمنح من قبل الأقسام العربية للجامعات فمن الأسف أنها لا تصلح حتى الآن أن تعتبر معياراً للأهلية أو تضمن لبراعة صاحبها فيما منحت فيه. ولو صلحت لكفاني في إثبات دعوى جمع نتائج الامتحان لبضعة أعوام ماضية من شتى الجامعات وتقديمها إلى حضراتكم. فإذا خضنا في البحث عن أسباب الخيبة وجدناها تقوم على عدة عوامل- منها- عدم تعيين الغاية: نرى أن القاصدين إلى هذه الفصول هم على

أنواع. فمنهم من يريدها لفهم لغة القرآن الكريم والدراسات الإسلامية الأخرى. ومنهم من يقصدها كلغة اقتصادية ومنهم من يطلبها كلغة أدبية ومنهم من يدرسها لأنها تساعده على مهنته، وكل من هؤلاء يتوقع من هذه الفصول تحقيق ما يريده هو بنفسه. أما نحن فلا نتجاوز عن حدّ تدريس اللغة إجمالاً. فإذا لم تتحقق غايته ولو بعد عامين أو ثلاثة أعوام يحكم بفشل الفصل. وإن أجاب أحد منا أنه لا بدّ من تدريس اللغة مطلقاً في المرحلة الأولى وبعده يمكن أن تتشعب الفصول في ضوء الأغراض المخصوصة لأكون أول مؤيده ولكن من يتكفل هذا الإمكان. أما ما نقول عن تدريس اللغة مطلقاً فهل نجحنا فيه؟ مع الأسف ليس الأمر كذلك لأن التفحص جازم بأن هذه الفصول لا تخرج وحتى عدداً ضئيلاً من الذين يستطيعون أن يعبّروا عما في نفوسهم باللغة العربية الصحيحة ولو قضوا في تعلّم هذه اللغة ثلاثة أعوام. والذي اعتبره كالسبب الثاني للخيبة هو منهاج تدريسنا البالي غير المطابق للوضع التعليمي الراهن والذي لا يهتمّ بشئون المساهمين الخارجية أيّ اهتمام يذكر، وقد زاد الطين بلة منهجنا الدراسي المخطّط من غير وتدبر وتفكير، ويطيب لي بهذه المناسبة أن أحلّ عقدته وأشرح هذا الإجمال بشرح مقنع حسب ما أرى وبعد ذلك لكم الخيار في أن تخالفوني أو توافقوني: تقرّر الجامعات لهذه الفصول ثلاثة أعوام على العموم. السنة الأولى ما تسمّيه السرتيفيكيت (Certificate) أو ما يعادلها والسنة الثانية تسمّى الدبلوم (Diploma) والثالثة الدبلوم العالي (Adv. Diploma) أو ما يعادله ومعنى ثلاث سنين التعليمية أربعة وعشرون شهراً فقط، لأن السنة التعليمية لا تزيد على تسعة أشهر وإن تعدّ الإجازات القصيرة المتخلّلة من حين إلى حين طوال السنة لتنحط مدة هذه الفترة من تسعة أشهر إلى ثمانية وإن أضيف إلى هذا تناسب أيام غياب الأستاذ والتلامذة خلال الفترة لتنحط مدة التدريس إلى سبعة أشهر أو أقلّ ثم إننا نجتمع للتعليم والعلم ثلاث مرات في الأسبوع فقط. ومعنى ذلك اثنا عشر يوماً في شهر كامل والتجربة التدريسية تشهد أنه يمكن بسهولة أن يكون مجموع الأيام التعليمية عشرة أو أحد عشر في الشهر ولكنه قلما وقع أن يكون ثلاثة عشر يوماً. فعلى هذا يبلغ عدد الفصول الدراسية إلى ما بين ثمانين أو خمسة وثمانين يوماً في سنة كاملة. وليست هذه الفصول متوالية مسلسلة بل تكون منقطعة عادة بسبب الإجازات القصيرة المدى أو طويلها. أما المساهمون فليسوا شاباً

نشيطين بل إنهم من الموظفين الذين يكدحون في مهن متنوعة طوال النهار وفي المساء يتدحرجون نحو الفصول فيتهالكون على مقاعدهم بالفصول لاهثين متقطعي الأنفاس يجمعون أولاً ما تشتّت من نشاطهم ويستعيدون ما زال عنهم من قواتهم وقد بلغ بهم التعب والإعياء كل مبلغ فهم كاشفوا البال مشوشوا الذهن مضطربوا الحال قد نسوا ما ذكروا به أمس ولا يسئل عنه الأستاذ إلحافاً. الآن بدأنا الدرس الجديد فيا لك من نتيجة خائبة وحاصل عقيم! هذه كانت أوضاع المساهمين وأحوال الفصول، إذن ألقي الضوء على ما يجب تدريسه. فاللغة تقسم إلى أربعة أقسام: 1-الاستماع، 2- والقراءة، 3- والكلام، 4- والكتابة. ولكن تسهيلاً للأمر أنا أحدّدها في قسمين: الأول لغة التكلم والثاني لغة الإنشاء. ليس المراد بالإنشاء ههنا اللغة الأدبية العالية بل يراد أهلية الرجل في أن يكتب حول عناوين محدّدة مخصوصة إلى حدّ ما وكذلك يستطيع الترجمة من لغة معلومة إلى العربية وبالعكس. والمراد بالتحدث أنه يستطيع التعبير عما يريده بكلمات صحيحة وحسب القواعد الصرفية والنحوية يعني أنه يستطيع الإبلاغ الكامل. فالذي يريد دراسة اللغة العربية لا بد له أن يعلم القراءة ثم الكتابة في المرحلة الأولى. ثم إنه يحتاج إلى الكلمات وما يضبطها أي القواعد حتى تكون مجموعة الكلمات التي يتلفظ بها دالة على معان مخصوصة معروفة عند من يعرف اللغة.

كما صرّح به الخبراء والمتخصّصون في اللغة أنه إذا عرف المرء ألفي كلمة لا يعجز عن تعبير المعاني الكامنة في ذهنه، سنبحث عن صحة هذا الرأي بعد قليل. أرى من الضروري أن أوضّح أولاً أن المعرفة المجردة لألفي كلمة شيئ واستحضارها وأهلية استخدامها شيئ آخر لأن الاستحضار ليس نفس المعرفة فإن أردنا بألفي كلمة مجرد معرفتها فقد أخطأنا لأنها لا تفيد إلا في القراءة أو الاستماع ونحن نتكلم في التحدث والإنشاء. فتعيّن أن المراد بألفي كلمة هو استخدامها ورسوخها في ذهن المرء. أما تعيين النسبة بين المعرفة المجردة والاستحضار فهي تزيد وتنقص بالنسبة إلى كل فرد حسب مساعيه ومزاولته وميله الذاتي إلى اللغة ثم الظروف الخارجية المتفاوتة. أما رأيي في هذا الشأن فهو إن استطاع المرء أن يستخدم خمس مجموع الكلمات التي يعرفها فلا يعاب لأنها نسبة مرضية مستحسنة. فمعنى استخدام ألفي كلمة إما أن يكون عند المرء ذخيرة وافرة لعشرة آلاف كلمة بحيث إنه يعرف تلك الكلمات إذا وجدها في الكتب

أو في كلام الناس يبلغ إلى معناها بدون أن يراجع إلى المعاجم أو يستعين بمعلمه، الآن هو يستخدم خمسها على ما أنا عيّنت وهذا متعذر التحقيق لأنه لا يستطيع أحد أن يعلم أو يتعلم هذا المبلغ من الكلمات في مدة سنتين اثنتين أو ثلاث سنين لاسيما إذا كانت الفصول مسائية جزئية، إذن تعيّن الأمر بأنه لا بد من أن يكون منهاج التعليم نافعاً مؤثراً عملياً ثم تطبيقياً حتى تفيد معرفة الكلمات في التحدث والكتابة أيضاً. نبحث الآن عن أصول نسج تلك الكلمات في كلام مفيد أعني به القواعد النحوية والصرفية الضرورية التي لا مندوحة منها للمرء إذا حاول استعمال ألفي كلمة التي استهدفناها. لقد تفكرت وعبثاً حاولت أن أبلغ إلى نتيجة حتمية حلاً للمشكلة، اقترحت على قريحتي أن اختار عدداً من الكتب الدراسية التي قامت بتدريس اللغة العربية في الفصول البدائية فنحصي عدد الدروس الواردة فيها للقواعد النحوية والصرفية الضرورية لفصولنا هذه. تحقيقاً لهذا الغرض اخترت أربعة كتب وهي كما يلي:

1. منهاج العربية (خمسة أجزاء) لسيد نبي الحيدرابادي
2. القراءة الواضحة (جزءان) لوحيد الزمان الكيرانوي
3. معلم الإنشاء (جزءان منها) لعبد الماجد الندوي
4. المنهاج الجديد في النحو (ثلاثة أجزاء) أصدرت من المملكة العربية السعودية.

أما السبب وراء انتخاب هذه الكتب من بين سائر الكتب الدراسية فأولاً لأنه حاول كل من مؤلفي هذه الكتب تدريس اللغة العربية لصفوف الابتدائية على منهاج جديد فكل منهم رتّب القواعد تحت دروس سهلة محتوية على كلمات بسيطة مأخوذة من بيئة الطالب وحياته اليومية كما أنهم اتفقوا على ترك البسط والتفصيل المتعب للقواعد فإنهم درسوا القواعد لا كفن بل كوسيلة- ولكن السبب الأهم هو أني لم أجد بالفعل غير هذه الكتب وبذلك اضطررت على الاقتصار عليها غير أني عند حصر الدروس الواردة في تلك الكتب بعد الإحاطة بها قراءة وتعمقاً فيها حذفت ما وجدت فيها من المكررات والإعادات للأصول النحوية من ناحية كما أثبتُّ اسم القواعد التي نبذها المؤلف في الدرس المذكور وأدرجت في فهرسي هذا كل الأصول المذكورة في الحواشي كقاعدة مستقلة جديدة إذا كان من شأنها أن تكون ذات أثر فيما يتعلق بالدرس من ناحية أخرى فبلغ عدد القواعد الواردة في الجزء الأول من القراءة الواضحة إلى

الثلاثين تحت عشرة أبواب ومثله في الجزء الثاني منه- فهذه ستون كالمجموع- قرّر المؤلف سنتين لتدريس جزئي الكتاب وفي الجزء الأول من معلم الإنشاء ست وثلاثون قاعدة فصّلت في دروس يتجاوز عددها على خمسين وفي الجزء الثاني منه إحدى عشرة قاعدة جديدة فقط من حيث المجموع يمكن جمع هذه القواعد في ستين درساً- ومنهاج العربية ففي الجزء الأول منه ثماني عشرة (18) قاعدة وفي الجزء الثاني سبع عشرة قاعدة وفي الجزء الرابع خمس عشرة قاعدة وفي الخامس مثله فهي خمس وسبعون قاعدة على المجموع فإن أضفنا بعض الدروس مما يتعلق بالأفعال أو الضمائر إلى البعض الأخرى فإنه يمكننا أن نحط عدد الدروس من خمس وسبعين إلى ستين. أما المنهاج الجديد ففي جزئه الأول ثماني عشرة قاعدة وفي الثاني أربع وعشرون قاعدة، وفي الثالث تسع عشرة قاعدة، يبلغ مجموعها إلى إحدى وستين قاعدة. أما مدة تدريس هذه الأجزاء الثلاثة فهي ثلاثة أعوام الدراسية. اختلف ترتيب الدروس في كل كتاب كما أنه تفرّد كل مؤلف بطريقته الخاصة لتفهيم الأصول وتدريسها ولكنهم متفقون كلياً على انتخاب الأصول والقواعد النحوية والصرفية التي تناولوها، ويمكن الرجوع للتأكيد إلى فهارس تلك الدروس التي توجد عندي على حدة--- يمكننا أن نستنتج بهذه الدراسة أنه لا بد من ثلاثة أعوام لمن يريد الإلمام باللغة العربية إلى حد ما وأنه تدرس كل سنة عشرون من تلك الأصول وإلى جنب هذا يجب علينا تعليم ألفي كلمة في ثلاث مراحل وكما صرّح به الباحثون المتخصصون في اللغة أنه لا يستحسن إيراد كلمات جديدة فوق خمس عشرة في درس واحد وخاصة في الفصول الابتدائية أو في الدروس المسائية ففي ضوء ما أسلفنا سابقاً فإن كنا نرمي بتدريس هذه الدروس إلقائها جزافاً براءة منا عن أداء الواجب بحيث نلقن الدروس كما هي وبطريقة تسنّت لنا فلا حاجة إذن للبحث والمناقشة ولكنا إذا كنا نتركز الدروس ونرسخها في ذهن الطلبة أصولاً وكلمة وقراءة وكتابة فالمسئولية تزداد بدون أدنى شك وريب. أما ما هو الحد الأدنى لترسيخ الدرس في أذهانهم فهي مسئلة أخرى لا تتعلق بما نحن فيه ولكن الأهم بهذه المناسبة هو إرادتنا يعني هل أردنا وسعينا إلى ترسيخها في أذهانهم أم لا؟ وما لا شك فيه أيها السادة! أننا حاولنا وأردنا تحقيق هذه المهمة فإذن تزداد مسئوليتنا إلى حد كبير وهنا أرى أننا لا نبرئ عن ذمتنا حتى نؤكد على التمرين والممارسة عن طريق التطبيق

الفني للدرس كما أنه يلزم علينا إعادة ما سبق من الدروس وهي تتزايد يوماً فيوماً فتعرقل سرعة التقدم إلى دروس جديدة بعد هذه التجربة. والتحليل المتعلق بالتدريس ومنهجه الذي قمنا به في عدة صفحات سابقة نبلغ إلى هذه النتيجة بأن الأستاذ يجب أن يعطي خمس مائة كلمة على الأقل في سنة واحدة تحت الدروس المرتبة على القواعد النحوية والصرفية لا يزيد عددها عن عشرين على كل حال بطريق التطبيق والتمرين العملي حيث تترسخ الكلمات والأصول في أذهان المساهمين فلا يصعب عليهم استخدامها في محادثاتهم ومراسلاتهم. هذه هي ذمتنا ومسئولياتنا وهو الهدف بلا ريب فهل بلغنا أهدافنا؟ كلا! فلماذا؟ إما لأن منهاج تعليمنا ليس عملياً منضبطاً معتمداً على آراء الخبراء في الطرق التدريسية منتبهاً لأوضاع المساهمين ونفسياتهم فكأننا نلقي الدروس غير مرتبة وغير منسقة ولا نهتم بالطرق المساعدة على ما نروم أو لأن الفترة المعينة لمنهج معيّن لا تكفي للتمرين والتطبيق العملي مهما يكن الأمر، شتان ما بين الأمل والمأمول. أما فيما يتعلق بالكلمات واستخدامها فأرى أنّ تحديد ألفي كلمة غير عملي والإصرار على هذا العدد لا يلائم هدفنا. فإنه لا يستحسن أن يزيد عدد الكلمات الجديدة في درس فوق خمس عشرة كلمة فعلى هذا لا يمكننا أن نزيد عدد الكلمات عن ثلاث مائة في سنة واحدة فإن زدنا لا توافق الزيادة بعدد الدروس. اعتقد أنا بأنّ ترسيخ الكلمات في أذهان المساهمين، ولو كان قليلاً، أنفع من ازدياد المعرفة المجردة دون استحضارها وأهلية استخدامها، والسبيل إلى هذا بأن نهتم بالقواعد وبصحة استخدامها أكثر من اهتمامنا بعدد الكلمات فإن تزويد الذاكرة بكلمات جديدة عمل يستمرّ طول الحياة، ليس لأحد غنى عنه وإذا تمكّن الطالب مرة من استعمال القواعد فيستطيع حتماً في العثور على الكلمة المطلوبة عندما تمسّ به الحاجة إليها ولو بمساعدة المعاجم أو الخبراء.

معيار الأهلية لمنح الشهادة

نشاهد أن الجامعات والمعاهد تضع منهجاً دراسياً معيناً لفصل ما وضع مثلاً لفصل السرتيفيكيت عشرة دروس وما يتعلق بها من القواعد ولكنه إلى نهاية السنة ما أمكننا إلا أن ندرّس ثمانية دروس فقط فينعقد الامتحان على أساس المقروء من الدروس أي ثمانية دروس فقط ومعناه أنه لا ينعقد الامتحان على

أساس المنهج المعيّن الكامل المقرر لذلك الفصل بل على المقروء فقط إذ الشهادة تمنح على أساس المنهج الكامل أو بعبارة أخرى إننا ننعته ناجحاً في المقررات كلها والحال أنه لم يلم إلا بشطر منها. والمنهج الدراسي يوضع للسنة القادمة لا على ما درسوا في الفصول السابقة فعلاً بل على ما قرّر كالمنهج الدراسي للسنة التالية ويلعب كذلك نظام الامتحان دوراً هاماً في سبيل الفصل والنتيجة الغير المجدية. من أعجب ما شاهده التاريخ التعليمي في الهند لاسيما لفصولنا العربية هو أنه في الوقت الذي يعتبر الحصول على الشهادة بأعلى التقدير لفصل ما من الفصول العربية من أيسر المهام وأسهلها يعتبر كون المؤهّل أهلاً بصورة واقعية لهذه الشهادة من أصعب الأمور وأعسرها تحقيقاً. فلله درّ من قال وهو يصوّر الوضع الذي ابتلينا به حيث ينشد:

کالج سے آرهی هے صـــــدا پاس پاس کی

عهدوں سے آرهی هے صدا دور دور کی[1]

في نظامنا ليس من الضروري أن يعرف الطالب كل ما درس في الفصل بل يكفيه الإجابة عن بضعة أسئلة من مجموع الأسئلة التي طرحت عليه في ورقة الامتحان سواءً كان الجواب من عنده أو بمساعدة المساهمين الآخرين وبعد أن نجح في الامتحان تمنح عليه الشهادة التي تضمن له الأهلية الكاملة ولو لم يوف بالحق وكذا الحال في فصولنا المسائية وبما أن الغرض بانعقاد هذا المجلس هو البحث عن دراسة اللغة العربية بكل ناحية والقيام بتحسين العمل الدراسي عن ساق الجد. أرى من الضروري أن اتعرض لكل نقص يوجد في نظامنا التعليمي واتفقد بكل ناحية عن وجوه الفشل، فمنها ما يشاهد أن معظم عدد الطلبة لا يواظب على الحضور في فصولهم ويكون غيابهم أكثر من الحضور ولكن أنتم يا سادتي! أعلم مني بمن يرسب من الغائبين وإن استمرت الحال على هذا المنوال فكيف يرجى لنتيجة مثمرة من أول شرائطها القدرة الكاملة على المقررات الدراسية، فمن الضروري أن لا نعتمد على الاختبار النهائي وحده في تعيين النجاح أو الخيبة. بل نتخذ أصولاً وقوانين تشتمل على نشاطاتهم التعليمية عبر السنة فيكون الامتحان النهائي متكفلاً لنصف النجاح

[1] ترجمة: الكلية تدعو الطلاب إليها بينما الوظائف تدعّهم عنها. (الأعظمي)

فقط والأشغال التعليمية الأخرى كالفروض الدرسية والتمرينات والاختبارات الأسبوعية أو الشهرية من الشرط الثاني الضروري لهذا النجاح ولا يعقد الامتحان النهائي إلا إذا انتهى المنهج الدراسي المقرر لتلك السنة أعني به كون معيار الشهادة هو الإحاطة بالمنهج الكامل التام لا المدروس منه فقط. أخال أن لا أقول شيئاً في منهاج التعليم والمنهج الدراسي فإن له أساتذة ومتخصصين لاسيما مقالة حضرة الأستاذ عبد الحليم الندوي تتعلق بهذه الأمور فاستماعي إلى مثل هذه الآراء أحبّ إليّ من توليّ في هذا الميدان ما دام الكلام يدور حول الموضوع ولكنني عارض عليكم بعض الاقتراحات راجياً أنها تساعدنا إلى حد كبير في رفع مستوى فصولنا المسائية وبما أني أتولّى تدريس هذه الفصول فأنا أحقّ بكشف الستار ورفع الغطاء عن المكنون فصاحب البيت أدرى بما فيه فأول ما اقترح هو تدريب المدرسين القائمين بتدريس هذه الفصول على المبادئ الحديثة والطرق الحاضرة ليعلموا كيف يدرس منهج معيّن في وقت معيّن لفصل له أوضاع خاصة وشأن مخصوص وبكلمة أخرى يجب الحصول على التدريب العملي لمنهاج التدريس. والثاني هو تعيين الأهداف لكل مرحلة من هذه المراحل الثلاثة وإن قال أحد إن الهدف متعين بأن الشهادات التي تمنح هي معروفة المعاني واضحة القيمة معترفة المعيار والمستوى فالمراد بشهادة الدبلوم مثلاً هو الدبلوم نفسه وهو معيّن معروف فلا حاجة إلى تعيين هدف آخر. قلت إني لا أنازعكم في تسمية الصفوف والفصول فإن أسماءها معروفة، ولا شك فيها، ولكن الذي أودّه هو تعيين مقدار الأهلية بكل شهادة وهذا يختلف عن تعيين المنهج الدراسي كما لا يخفى وليكن المقدار مسلماً عند كل جامعة أو معهد على السواء. وبكلمة أخرى ينبغي أن يكون منهج دراسيّ معيّن لكل من هذه الفصول وليكن ذلك المنهج بعينه جارياً في كل جامعة أو معهد يتولّى دراسات اللغة العربية كما علمنا تنقسم اللغة إلى أربعة أجزاء؛ الاستماع، التحدث، القراءة، ثم الكتابة، هذا بالنسبة إلى اللغة الأولى. أما إذا كانت اللغة، اللغة الثانوية ينقلب هذا الترتيب لاسيما إذا كان الطالب من البالغين ففي هذا الترتيب يعرف الطالب الكتابة أولاً ثم القراءة ثم التحدث ثم الكتابة. أما الطريقة المباشرة للتدريس فإنها لا تفرق بين اللغة الأولى والثانوية فلهم نظام مخصوص ولكني لست بباحث عنها لاعتقادي بأنها لا تنجح في بيئتنا، ذلك لأنها تقتضي بيئة مخصوصة فلذلك أنا أتناول التدريس في ضوء منهاجنا

المخصوص فنبدأ التدريس بتعليم الكتابة في المراحل الابتدائية ونقرّر لها فترة أربعة أشهر ثم نشرع في تدريس السنة الأولى من شهادة السرتيفيكيت ونعدّها السنة الأولى، ويشترط للدخول فيها معرفة القراءة والكتابة للغة ونستهدف تدريس اللغة في هذه السنة إلى أن يعرف الطالب اللغة إلى حد الإبلاغ المجمل أعني به خلق الصلاحية في الطالب للتعبير عما في ذهنه بكلمات مناسبة ملائمة للمعنى أو غير مناسبة شريطة أن تؤدي إلى تفهيم المعنى بوجه ما ولو وجدت بعض الأغلاط النحوية أو الصرفية، هذا ليكن هو الهدف وأنتم يا سادتي! أعلم مني بالطرق والمناهج المؤدية إلى هذا الهدف. وأما ما يتعلق بعدد القواعد النحوية والصرفية التي حصرتها في ستين درساً موزعة على ثلاث مراحل فهذا العدد أي الستين ليس بعدد قطعي حيث لا يمكن الانحراف عنه كل ما في الباب هو الإحاطة بالقواعد الضرورية وتوضيح الضرورة كما صرحت بها عدة مرات في هذه المقالة هي القواعد التي لا مندوحة منها للطالب في سبيل وصوله إلى حد الإبلاغ الكامل المؤثر. وفي الوقت الذي يحدّد مؤلف القواعد النحوية في خمسة وعشرين درساً هناك من يتوسع في تدريسها بحيث يجعلها ستين درساً ومن يجعلها ثمانين وهلم جراً، ولكن الدروس سواء أ كانت ستين أو ثمانين أو أي عدد آخر تستغرق من الوقت فترة متساوية في جميع الحالات وتوضيح هذا مثلاً يوضح مؤلف الأحوال المختلفة للمبتدأ والخبر وقواعدها في خمسة دروس ومصنف آخر يوضحها في درس واحد فقط فوضع الأول خمسة دروس للمبتدأ والخبر، وقرّر الثاني درساً واحداً لهذه القاعدة بالذات فعلى هذا الترتيب إذا يبلغ الأول إلى ستين لا يتجاوز الثاني عن اثني عشر درساً ولكن تكون مدة التدريس مساوية لكليهما لأن الثاني ولو حطّ عدد الدرس فإنه لا يبرئ عن ذمته حتى يدرس كل قاعدة ضرورية متفرعة من قاعدة أصلية كما فعله الأول نظراً إلى هذا أخال أن عدد الدروس لا يتعلق بالقواعد ولكنه يتعلق بالكلمات والألفاظ حيث تزداد بازدياد الدروس. لقد اضطررت إلى هذا البحث المتعب لأني اقترحت في ما سبق أن يكون عدد الدروس ستين وذلك مبنياً على التجزية والتحليل دون أن يكون مجرد اقتراح أو تخمين مني. أما رأيي بهذه المناسبة فهو أنه من المناسب أن يقرّر لتدريس القواعد سنتين فقط ففي السنة الأولى ندرّس مثلاً ستين في المائة أي ثلاثة أخماس من مجموع القواعد المقرّر تدريسها في السنتين ويبذل المدرس أقصى

جهوده في أن تترسخ القواعد في أذهان الطلبة وتستقر بهم حتى لا يخطئوا في استعمالها ثم يحاول في تزويدهم بالكلمات الجديدة المتزايدة كل يوم مع زيادة عدد الدروس ولتكن مأخوذة من بيئة الطالب لكي تكون مسموعة مقبولة تحقيقاً لهذا الغرض يجب أن ينعقد الفصل أربع مرات في الأسبوع وساعتين كل يوم ويعوّدهم المدرس بالتكلم باللغة العربية من أول يوم فيتكلم أمامهم ويأمرهم بالتكلم ولو خطأ. أما السنة الثانية فتدرس أربعون بالمائة من مجموع القواعد المقررة مع إعادة ما سبق في السنة الأولى من القواعد. أما أيام التدريس فإنه لا بأس أن تكون ثلاثة أيام في الأسبوع بواقع ساعتين كل يوم أو ثلاث ساعات، أتوقع أن الطالب لا يخطئ في استخدام القواعد في نهاية السنة الثانية إن جرت الدراسة حسب ما أشرنا إليه ولكنه لا يتوقع منه الإبلاغ الكامل المؤثر بهذا القدر من الدراسة أيضاً لأن الإبلاغ المؤثر يقتضي الإتقان في اللغة، والإتقان يتطلب عدة أشياء بالإضافة إلى القواعد والكلمات فنخصص السنة الثالثة لهذه الأشياء حتى يخطو الطالب من الإبلاغ الكامل إلى الإبلاغ البليغ. أما مشكلة الترجمة ومسئلة اللغة القديمة والحديثة والخطأ التعبيري الناتج عن أثر اللغة الأردوية فقد قمت ببحث كل هذه النقاط في مقالة على حدة سأقدّمها إن سمحتموني بها. هذا، ولم أحاول في مقالي هذا أيها السادة! الإحاطة والاستيعاب بالأمور والمسائل المتعرضة لنا ونحن بصدد تعليم أبنائنا اللغة العربية بأبسط طريقة وأسهل منهج، وإنما التلميح إلى ما نتعرض له من النقائص والزلات ونحن نمضي في طريقنا لتحقيق هذا الهدف المنشود فللإحاطة والاستيعاب مناسبة أخرى ومحفل آخر أتمنّى أن يوفّرها الله تعالى يوماً. وما ذلك على الله بعزيز، فهو الموفق؟

النثر الفني في العصر الإسلامي والقرآن نموذجاً

- د. محمد عمّار شهباز عالم اللطيفي

النثر:

النثر هو الكلام الجيّد المرسل الذي لم يتقيّد بقيود الوزن والقافية، وهو خلاف النظم. وهو على نوعين: نثر علمي، ونثر فني.

أما النثر الذي يستخدمه عامة الناس في حياتهم للتعبير عن شؤونهم المختلفة، وفي الحوار والمفاوضة والمحادثة، يسمّى لغة التخاطب أوالمحادثة أو النثر العادي، لأنه لا يتسم بالرويّة والتفكير، ولا بالإجادة، بل وإنما يريد به الناس تأدية ما في نفوسهم من المعاني، وتحقيق ما تقتضيه منافعهم من الأغراض.

أ: نثر علمي:

هو كلام مرسل يتناوله العالم للتعبير عن الحقائق العلمية وإبرازها، بلا عناية بالناحية الفنية، ومع أنه يعمل فكره وعقله فيه، ولكن الطابع العلمي أو الروح الفكري في بحثه يغلب على الروح الفني أو الطابع الفني، لأن العلم يستمد قوته وحياته من التفكير الخالص، والأدب أو الفن يستمدّ قوته وحيويته من الشعور والوجدان.

ب: نثر فني:

هو الكلام المرسل الغير الموزون، المرتفع عن اللغة العلمية الجافة، وعن لغة التخاطب والمحادثة، المشتمل على الأ فكار المنظمة، المتسم بالرويّة والتفكير، المتصف بتركيب الجمل، وصياغة العبارات جيدة السبك، فصيحة الأسلوب، وبالتأليف في المعاني، والاختيار في الألفاظ وتنميقها. معنى ذلك أنه نثر منمّق صيغ في قالب أدبي يثير المشاعر ويحرّك العواطف، ولون جميل من الإنشاء العالي للتعبير عن خلجات النفس، وومضات العقل، وخطرات الشعور، لأن النثر وليد العقل والشعر وليد الخيال. وهذا النوع من النثر أجدر بأن يستعمل

في الكتابة، لأن الكاتب يرتّب فيها أفكاره، ويحدّد معانيه وأغراضه، ثم يأتي بالكلمات التي تناسب لها، فلذلك الكاتب أو الكتّاب تتفاوت منازلهم الأدبية لاختلافهم في الذوق الأدبي، وفي المقدرة على الافتنان في هذه الأشياء.

ج: متى يوجد النثر الفني:

إذا تصفّحنا العوامل التي تسبّب وجود النثر الفني، وجدنا أن القراءة والكتابة، والتوسع في الثقافة، ونضج العقل والتفكير وتهذيبهما، هي التي تمهّد الطريق لوجود هذا النوع من النثر، لأن النثر الفني إنما يحتاج إلى الرقي الفكري والتهذيب العقلي، وإلى وجود جماعة إنسانية منظمة راقية، تسودها أوضاع اجتماعية معقدة، كما يرى الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي: "إن الإنسان حينما تنضج أفكاره، وتتوسع ثقافته العلمية والأدبية، يتوسع نثره وأدبه، فيتزوّدان بالثقافة والتفكير، فلا يبقى نثر الرجل نثراً بدائياً بسيطاً ..... والنثر البسيط يتحول إلى النثر الفني حينما يترقى صاحبه بثقافاته ومعارفه وعلومه وعقليته الفنية، فيزوّد ويزين نثره بكل ذلك[1]. ومن المؤكد أن الإنسان عندما يخرج من طور البداوة والبساطة، إلى طور الحضارة والثقافة، وتنضج مداركه العقلية والفنية، يترك اللغة البسيطة، ويركن إلى الدقة في التعبير، والتحبير في الألفاظ، والوضوح في المعاني، لأن العقل البسيط لا يسع ذلك، فحينئذ ينشأ النثر الفني.

النثر الفني الإسلامي

تمهيد:

إن العرب في الجاهلية كانوا يعيشون حياة لا يشوبها الشمل، ولا يمسها الاجتماع، حياة مشحونة بالتفاضل بالعصبية، وبالتفاخر بالأنساب وما شاكلها، حتى ظهر الإسلام، وكان ظهوره في الحقيقة حدثاً خطيراً، وفتحاً جديداً في حياة الأمة العربية، فغيّرمجرى الحياة، وقلّب كل شيء رأساً على عقب، وتبلورت آثار هذا التغيير والتبديل في كل مظهرمن مظاهرالحياة وشؤونها، إلى أن جمع شملهم وكلمتهم، وصاروا بفضله يداً واحداً على اختلاف أنسابهم ومواطنهم. وذلك لأن الإسلام قد جاء لتهذيب الإنسان وتثقيفه، وتوحيده وجمعه

[1] الأدب العربي بين عرض ونقد، ص 25-26

تحت ألوية الوحدة والأخوة والوئام، وجاء لقيام مجتمع إنساني ترفرف عليه رأية الأمن والطمأنينة، وتهب فيه رياح المودة والإخاء، والحب والحنان والسلام، فلم يدع في الحياة الإنسانية الجاهلية ناحية إلا وغيّرها وبدّلها. فالإسلام نظام كامل شامل للحياة، وشملت قوانينه كل ناحية من نواحيها وجميع شؤونها.

أ:- تأثير الإسلام في الحياة الأدبية:

كان ظهور الإسلام في الحقيقة انقلاباً دينياً، وتغييراً سياسياً واجتماعياً، وأدبياً ولغوياً، ولا بد لكل انقلاب وتبدّل أن يترك أثره في نفوس أولئك الذين واجهوا التغيير، وفي عقولهم وأفكارهم. فتطورت آدابهم وعلومهم ولغاتهم، بما اقتضته طبيعة هذا الانتقال الذي غيّر مناهج تفكيرهم ومعتقداتهم وأخلاقهم، بل وحياتهم جميعاً.

ولقد تطوّر الأدب العربي منذ طلع فجر الإسلام تطوراً عميقاً محسوساً ملموساً، فإن العرب قد وجدوا بين أيديهم منهلاً عذباً صافياً يفيض عليهم من سحره وإعجازه، وبلاغته وفصاحته، وطلاوته وحلاوته، فنهلوا منه وعلوا، وانتزعوا معانيه وأغراضه وأسلوبه وألفاظه، فاتضحت في كلامهم آثار هذه المعجزة الكبرى، وتجلت فيه مظاهر هذه النقلة المفاجئة التي أتى بها الإسلام والقرآن، وكان أكثر تأثراً بها "الشعر والخطابة"، وهما من الآداب الجاهلية التي زادها الإسلام رونقاً. ولكن الخطابة سبقت الشعر في الرقي لحاجة المسلمين إليها في الفتوح والغزوات"[1]. على كل حال أننا لا نتفق مع رأي جورجي زيدان في أن الخطابة تستخدم في الإسلام للفتوح والغزوات فقط، بل نقول بصراحة إنها استخدمت قبل كل شيء للدعوة الإسلامية والدينية، وجعلها فرضاً مكتوباً في صلاة الجمعة والعيدين والحج والاستسقاء وما إلى ذلك.

وكانت الدعوة الإسلامية غذاءً جديداً يتغذى به الفكر والروح، فقد تأثرت الحياة الأدبية بالدعوة الجديدة ـ الإسلام ـ تأثراً كبيراً من ناحية شتى، وكان هذا التأثر بها في ألفاظ اللغة وأسلوبها، وفي فنون الآداب المختلفة من

[1] تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان، 216/1

شعر ونثر، وكتابة وخطابة وفي أغراض كل فن منها. وعلى الجملة لقد غيّر الإسلام مجرى الحياة الأدبية والفكرية والثقافية تغييراً كبيراً واسعاً.

ولم يكن هذا التبدّل من أجل ما اكتسبه الناس أو المسلمون من ثقافة وعلم وأدب من البلاد التي فتحها الإسلام، بل برجوعهم إلى المنبع الثر والمصدر الأول لثقافتهم الدينية والعقلية والأدبية، وهو القرآن الكريم الذي قلب خشونة الطباع عذوبة ولينة، وسلاسة وقوة، والذي غير حوشية اللسن سهولة ووضوحاً، وبلاغة ورونقاً، وأورث العرب وضوحاً في التفكير، ودقة في التعبير والتصوير، وروعة في الحجة، ورقة في الأسلوب.

ب:- أثر الإسلام في أغراض اللغة:

لقد تأثرت اللغة في هذا العصر بالدعوة الإسلامية، فازدادت أغراضها، وتوجهت نحو وجهات جديدة، تختلف عما كانت عليه قبل الإسلام، وأخذت تعبر عن عقول استضاءت بهدي القرآن، وتأدبت بأدب الإسلام. فقد استعملت في تفسير العقيدة الإسلامية وتوضيحها، والدعوة إليها، وكذلك استخدمت في الحجج لخصومها، وتبيين مراميها ومقاصدها، واستنباط أحكامها، كما استعملت في حفظ نظام الملك والدولة، ونشر الأمن والسلام، وإقامة العدل والإنصاف، وفيما تطلبته حياة الحضر الجديدة، وشؤون الثقافة والمعرفة، واستخدمت أيضاً في إرشاد الناس وتوجيههم إلى أحكام الشريعة الإسلامية، وإلى التذكير بأوامر الله ونواهيه، وما إلى ذلك.

ج:- أثر الإسلام في معانيها وأساليبها:

كما أثر الإسلام في اللغة وأغراضها، كذلك أثر في معانيها وأساليبها، فبرز في معانيها "الدقة والتفكير والفهم والعمق، بما أفاده المسلمون من ثقافة القرآن والدين، ومن خبرة وتجربة وإدراك صحيح للحياة، كما اتسعت مادة المعاني باتساع المشاهدات والمناظر والمعقولات والمعنويات، تعددت صور الخيال في روعة وجمال تعبير بتجدد وتعدد المشاهد التي انتزع منها، والتي كانت مادة له.

أما أسلوب اللغة فقد شاعت فيه العذوبة والسلاسة في جزالة، وأخذت بأطرافه القوة والجمال والوضوح وروعة التأثير وقوة الحجة، وتأجج

العاطفة والتهاب الشعور، ودقة الإحساس الأدبي، وذلك لتأثرهم بالقرآن وبلاغته، مما رقق من نفوسهم القاسية، فسلست طباعهم و ألسنتهم وملكاتهم، فلم تقبل إلا السمح المهذب من الأساليب"[1].

د:- أثر الإسلام في ألفاظ اللغة:

لقد أثر الإسلام وبلاغة القرآن والحديث في عقلية الأدباء والكتاب والبلغاء وتفكيرهم تأثيراً كبيراً، حتى أنهم جعلوا يتجنبون في إنتاجاتهم الأدبية والفكرية عن استعمال الألفاظ والكلمات الحوشية الغريبة النافرة التي تثقل الطبع، إلا ما جاء من ذلك عفواً، أو ما لاءم الذوق وقبله الطبع. فلذلك لا نجد في كتاباتهم ورسائلهم وخطبهم ألفاظاً صعبة ثقيلة، مع أنهم كانوا حديثي العهد بالإسلام والقرآن وبلاغة النبي صلّى الله عليه وسلّم، بل وإنما نجد الألفاظ السلسة العذبة السهلة الرشيقة اللطيفة التي تنمّ عن استحكام الطبع وقوة الذوق وغلبته.

وكذلك نلاحظ هناك ألفاظاً كره الإسلام مدلولها، فتركها الأدباء والفصحاء والمتكلمون في الاستخدام، مثل "عم صباحاً، وعم مساءً" وما شاكل ذلك، وجعل مكان ذلك "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، ومنها تهذيب الألفاظ بالعدول عن الحوشي الغريب وغير المستحسن من اللهجات، مما أتمّ على توحيد اللغة، وأوصلها النهاية في تنقيتها وتهذيبها، لأن القرآن استمدّ ألفاظه من السهل النطق على اللسان، والحسن الوقع في الآذان، القريب المعنى من الأفهام. وكذلك هناك ألفاظ أحبّها الإسلام ووجهّها نحو معنى سديد صالح يلائم طبيعة الدين الجديد في مدلولاتها، كالصلاة والزكاة والصيام والحج، والمؤمن والكافر والمنافق والفاسق والمسلم، وأسماء الله وصفاته والرسل وصفاته. وكذلك ألفاظ التشريع الشخصي من زواج وطلاق وتوريث والتشريع المدني من بيع وشراء وسلم وإجارة وشفعة

[1] الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، 17-18

ونحوها، وغيرها من الألفاظ الكثيرة التي تزخر بها قواميس اللغة ومعاجمها[1].

والذي يعنينا الآن أن ندرس النثر الفني في عهد النبوة، وهو الفترة التي يطلق عليها كثير من المؤرخين للأدب اسم "صدر الإسلام" ــ السنة الأولى الهجرية إلى العام الواحد والأربعين بعد الهجرة ــ، والذي يهمنا في هذا الفصل هو: أن ندرس النثر في تلك الفترة، ونبين خصائصه ومميزاته، وماذا عسى أن يكون قد أصاب من تطور بظهور هذا الدين الجديد، وهل اختلفت مناهجه وأوضاعه عن ذاك النثر الذي عرفناه في الجاهلية؟ وسندرس ـ بعون الله وتأييده ـ قدر المستطاع كل ذلك مستمداً ومستدلاً عليه بالنصوص النثرية في هذا العصر.

النثر الفني في عصر صدر الإسلام:

كما كان للعرب في الجاهلية نثر فني، كذلك كان في هذا العصر الكريم، وذلك لأن القرآن الكريم قد نزل، وجاءت الدعوة النبوية الكريمة بجميع خصائصها الأدبية والفنية، وكانت هذه الدعوة النبوية غذاءً صالحاً للروح والفكر، فاستتبعت هذه الدعوة الإسلامية الجديدة قيام نظام جديد وإدارة جديدة، وكان لا بد لنشر الدعوة الجديدة من التعليم والإرشاد والوعظ، فكانت الأداة الصالحة لذلك الكلام المنثور لا المنظوم، من أجل ذلك فاقت أهمية النثر مكانة الشعر، وجعل القرآن والحديث النبوي الشريف للنثر دولة، ووضعاه في منزلة أسمى.

ولما جاء الإسلام ونزل الفرقان، وقام النبي صلّى الله عليه وسلّم بأمر الدعوة وصدع بها، أنشأ ذلك الاختلاف في الناس بين مكذب ومصدّق، فكثرت دواعي الحجاج والكلام والخطابة، وأخذ النثر ينمو ويزدهر ويقوى، فمن وفقه الله عز وجل لقبول هذه الدعوة الكريمة من البلغاء والأدباء والخطباء والفصحاء أخذوا يتتلمذون على مائدة القرآن الكريم، ويتطفلون على مائدة الحديث الشريف، وبدأوا يشفون غلتهم الأدبية والعلمية، ونهلوا منهما وعلوا، فنهجوا نهجهما في تأييد الدين الحنيف،

[1] لمزيد من التفصيل راجع تاريخ الأدب العربي لسباعي البيومي، 2/187-188